جامعة محمد خيضر بسكرة
كلية الآداب و اللغات
قسم الآداب واللغة العربية

مذكرة ماستر

دراسات نقدية

إعداد الطالب:
قط السعيد/ عزالدين عزوز

يوم:2020/00/00

النقد في كتاب "تحت راية القرآن" لمصطفى صادق الرافعي

لجنة المناقشة:

بشير تاوريريت	أ. د.	جامعة محمد خيضر بسكرة	رئيسا
سعاد طويل	أ. مح أ	جامعة محمد خيضر بسكرة	مقررا
حياة معاش	أ. د.	جامعة محمد خيضر بسكرة	مناقشا

السنة الجامعية:2019 - 2020

شكر و عرفان

أوّل من يشكر ويحمد آناء الليل وأطراف النهار، هو العلي القهار، الأوّل والآخر، والظاهر والباطن، الذي أعرضنا بنعمه التي لا تحصى وأغدق علينا برزقه الذي لا يفنى.

والشكر موصول إلى كلّ معلم أفادنا بعلمه، وحال بيننا وبين ظلمات الجهل.

كما نرفع أسمى عبارات الشكر مع فائق الإحترام والتقدير إلى الدكتورة "سعاد طويل" التي كانت خير معين لنا بعد الله – عز وجل – إشرافا وتوجيها.

كما نتوجه بخالص الإمتنان إلى كل من ساعدنا من قريب أو من بعيد

والله من وراء القصد ...

مـــــقدمة

شكل النقد العربي الحديث مرحلة من أهم المراحل التي شهدت صراعا بين قطبين وهما أصحاب القديم والجديد، ففي الفترة التي شددت بعض الأقلام النقدية على ضرورة المحافظة والتمسك بالموروث العربي القديم والإلتزام به، ظهر تيار مجدد يرى ضرورة العمل على موجة إصلاحية للأدب العربي ومحاولة تكييفه ومقتضيات العصر بصورة تجعل من الميراث العربي نمطا معهودا جرى عليه الزمن، وبين تضارب هذه الآراء ومحاولة كل طرف التشديد على الرؤية التي يراها، برزت مؤلفات حملت في طياتها هذا الإحتدام وسعى أصحابها إلى بيان أحقية الفكر الذي يدعو إليه.

ويعد كتاب "تحت راية القرآن" لمصطفى صادق الرافعي امتداد لهذا الصراع، ووسيلة للرد على أدعياء المذهب الجديد، ومبرزًا لمختلف التصورات التي طرحها الرافعي في محاولة منه بعث التراث في ظل عصر تشبع بمختلف النظريات المستمدة من الثقافات الأوروبية على اختلافها، وهو ما من شأنه أن يبين طبيعة الصراع الذي حصل مع تحديد ملامح كلا المذهبين.

إذن، من بين الأسباب التي جعلتنا نقف على إنجاز هذا البحث هو إهتمامنا الخاص به، وكذا بيان الإهتمام بهذه الحقبة الزمنية من النقد العربي المغيبة عن الكثيرين، وتوسيع المعرفة الذاتية ومحاولة فهم طبيعة هذه المرحلة من النقد العربي.

وهذا بغية تحقيق مجموعة من الأهداف أبرزها:

- بيان انتماء الرافعي وحقيقة فكره.
- بلورة أحد أهم القضايا المطروحة في النقد العربي الحديث (القديم والجديد).
- الاطلاع على كتاب "تحت راية القرآن" للرافعي، وفهم مضامينه.

وتبعا لذلك جاءت الإشكالية على النحو التالي:

- كيف كان تصور الرافعي لحقيقة الصراع القائم بين القديم والجديد؟
- ما هي أهم الأراء النقدية المطروحة في الكتاب؟ وما مدى تأثيرها على مخالفيه؟

وبناء على ما تقدم فقد تجلت خطة البحث على النحو الآتي: فصلين ومقدمة وخاتمة، حيث تناولنا في الفصل الأول مفهوم النقد ونشأته، فتطرقنا فيه إلى مفهوم النقد في اللغة والاصطلاح ثم تتبعنا مسيرة النقد في العصور الأربعة (الجاهلي – صدر الإسلام – الأموي – العباسي) وبعدها النقد في العصر الحديث موضحينا أهم ممثلي الإتجاهين ثم تطرقنا إلى"الرافعي مناهضا للتجديد" واحتوى على أهم معركتين في العصر الحديث مع العقاد وطه حسين لنختم الفصل بتعريف النقد عند الرافعي.

أمّا الفصل الثاني فعنوناه بـ: "الأراء النقدية في كتاب تحت راية القرآن"، تناولنا أولا دراسة عامة للكتاب بدأنا بوصف الكتاب، ثمّ منهجه، فسبب وأهمية تأليفه مرورًا بأسلوب الرافعي في الكتاب، ثم إلى قضية القديم والجديد متناولينها بالشرح والتحليل، وكان العنوان الثالث تحت مسمى "طه حسين في ميزان الرافعي"، ثم عرجنا إلى أهم الإنتقادات التي وجهت للكتاب تحت عنوان "الرافعي في ميزان النقد"، وانتهينا إلى خاتمة حوت النتائج المتوصل إليها.

وطبيعة الموضوع فرضت علينا اتباع منهج نقد النقد، ومن أجل رصد وتتبع ما دار حول الكتاب والمعركة التي قامت على إثره كان سبيلنا في ذلك المنهج التاريخي.

متكئين على جملة من المصادر والمراجع أهمها:

- كتاب "تحت راية القرآن" لمصطفى صادق الرافعي.
- كتاب في "الشعر والنقد" لمنيف موسى.
- كتاب "النقد والنقاد المعاصرون" لمحمد مندور.

ومن منطلق كل هذا ومصداقا لقوله صلى الله عليه وسلم: ((لا يشكر الله من لا يشكر النّاس)) ((رواه أبو داوود في سننه)). فإنّنا نتوجه بالشكر الجزيل مع فائق الإحترام والتقدير إلى الأستاذة المشرفة "سعاد طويل" التي منحتنا الحق في إنجاز هذا البحث وإلى كل من قدم لنا يد العون.

الــفصل الأول

" مفهوم النقد ونشأته "

أولا: مفهوم النقد

1. لغة:

تناولت المعاجم العربية مصطلح "النقد" وبيّنت أوجه دلالاته واستعمالاته.

جاء في "لسان العرب" لابن منظور في مادة (ن، ق، د): ((نَقَدَ: النَّقْدُ: خلاف النّسيئة، والنّقد والتّنقاد، تميّز الدّراهم، وإخراج الزيف منها))[1].

وأورده الفيروز آبادي في "القاموس المحيط" بقوله: ((النّقد: خلاف النّسيئة، وتميّز الدّراهم وغيرها، كالتنقاد، والتَّنَقُّد وإعطاء النَّقد))[2].

والحاصل هنا أن مصطلح النقد في المعاجم اللغوية قد دلّ على تميّز الدراهم؛ أي بيان الجيد منها والرديء.

2. اصطلاحا:

تكاد تتفق أغلب الأراء النقدية حول مفهوم النقد اصطلاحا ((فكلمة النقد تعني في مفهومها الدقيق الحكم، أو هو مفهوم تلحظه في كلّ استعمالات الكلمة حتى في أشدّها عموما، والنّقد الأدبي في أدق معانيه هو فن دراسة الأساليب وتمييزها على أن نفهم لفظة الأسلوب بمعناها الواسع وهو منحى الكاتب العام وطريقته في التأليف والتعبير والتفكير والإحساس على السواء))[3]

(1) ابن منظور، **لسان العرب**، (د ط)، دار صادر، بيروت – لبنان، مج3، مادة (ن، ق، د)، ص425.

(2) الفيروز آبادي، **القاموس المحيط**، ط8، مؤسسة الرسالة، بيروت – لبنان، 2005، ض322.

(3) قدامة بن جعفر، **نقد الشعر**، تحقيق: محمد عبد المنعم خفاجي، (د ط)، دار الكتاب العلمية، بيروت – لبنان، (د س)، ص13.

نتفق في أن مصطلح "النقد" هو المرآة الصادقة التي تعكس نواحي الجودة والجمال، أو الرداءة والقبح في العمل الأدبي، وبالتالي هذه العملية توفقنا إلى مظاهر الضعف أو القوة فيه [1].

((والنقد ليس محصورا في العمل الأدبي تحديدا ولا يجوز الوقوف به عند حدّ الأدب))[2]، فيتضح من هذا شمولية النقد واستحالة حصره ضمن حيز معين.

وباعتبار النقد الأدبي مجال بحثنا، فيمكن القول: إنه مقاربة النصوص الأدبية وتحليلها وتفسيرها للوقوف على جمالياتها ومواطن الحسن فيها...

ثانيا: نشأة النقد:

إنّ النقد مثله مثل أي علم، محكوم بالعديد من المراحل والتطورات التي ساعدت على نضجه وجعلت منه علما قائما بذاته، لهذا عملنا في هذا الجزء على تتبع حركية النقد، في العصور العربية القديمة، انطلاقات من العصر الجاهلي، وانتهاء بالعصر العباسي الذي بلغت فيه المعارف حدّ النضج والبناء العلمي لمختلف النظريات.

1. النقد في العصر الجاهلي:

من المعروف أن النقد الأدبي ظهر مع ظهور الأدب فـ((من الحقائق المقررة أنّ النقد الأدبي نشأ مع الأدب، جنبا إلى جنب، وتطور معه يوما بعد يوم، وإنّ كلّ أديب – كاتبا كان أم شاعرا، هو ناقد أيضا، وإن لم ينقطع للنقد فيحترفه أو يؤلف فيه))[3].

وهذه الحقيقة موجودة في الأدب العربي، فشعراء الجاهلية كانوا نقادًا، وكان للشعر نقده، وهذا ما شهدناه في الأسواق الجاهليين وخاصة سوق عكاظ الذي كان الشعراء يتنافسون فيه، وكان الحكم بينهم شاعرا اعترفوا بتفوقه وجدارته في النقد.

---

(1) ينظر: حسين الحاج حسن، **النقد الأدبي في آثار أعلامه**، ط1، المؤسسة الجامعية للدراسات، بيروت – لبنان، 1996م، ص24.

(2) حسين الحاج حسن، **النقد الأدبي في آثار أعلامه**، ص24.

(3) أبو القاسم محمد كرّو، **دراسات في الأدب والنّقد**، (د ط)، دار المعارف، سوسة – تونس، (د س)، ص99.

((فندرك أن النقد الأدبي في الجاهلية، كان قائما على الصياغة والشعر وفكرته، ولكنّه لم يتخلّ عن الذوق الفنّي، القائم على الإحساس بأثر الشعر في النّفس ومقدتر وقع الكلام عند الناقد، وهكذا وجد النقد الأدبي ملائما لروح العصر ملائما للشعر العربي نفسه))[1].

و((في أخبار الأعشى أنّه كان ينشد شعره على آلة موسيقية هي الصّنج، وكان يطوف بها بين أحياء العرب، وكانت الأحياء وشيوخها يحتفلون به ويقبلون عليه لسماعه ويهيئون له الهدايا، والصلات، ولا نرتاب في أنّ من كانوا يستمعون إليه كانوا يتعبدون– في حضرته – ما ينشده مرارا، وأنّهم كانوا يطلبون من المزيد، ولا نرتاب أيضا – في أفهم كانوا – إذا رحل يتحدثون عنه وعن شعره، فيتعصب بعضهم له، ويتعصب بعضهم عليه مؤثرا قبيلته، وكذلك كان شأنهم في الأسواق حين يستمعون إلى ما ينشد الشعراء، فيظهر فريق منهم إعجابا، ويظهر فريق آخر سخرية واستخفاف))[2].

وصفوة القول: إنّ النقد في العصر الجاهلي لم يتجاوز حد الانطباع الفردي تجاه القصيدة أو البيت الشعري، وأنّ الأحكام التي كان الجاهليون يطلقونها على ما جرى في آذانهم، كانت أحكاما لا تنبني على نقد علمي مؤسس على آليات، وإنّما كانت مجموعة من الانطباعات التي تركها البيت أو القصيدة على النفس إما بالإيجاب أو السلب.

2. النقد في صدر الإسلام:

يقصد زمنيا بهذه الفترة عصر الرسول صلى الله عليه وسلم والخلفاء الراشدين من بعده، و((لم يكن النقد في صدر الإسلام إمتداد للنقد الجاهلي، ولكن النبي العربي أوّل ناقد في الإسلام، أليس هو القائل، ((إنّ من البيان لسحرا))، غير أنّهذا الطابع الإسلامي صبغ النقد في عقد النبي والخلفاء الراشدين بصبغة خلقية، ففصل الشعر الذي مكارم الأخلاق وتعظيم الدعوة وتمجيد الله))[3].

(1) منيف موسى، **في الشعر والنقد**، ط1، دار الفكر اللبناني، بيروت – لبنان، 1405هـ – 1985م، ص48.

(2) شوقي ضيف، **النقد**، ط5، دار المعارف، القاهرة – مصر، (د س)، ص21.

(3) منيف موسى، **في الشعر والنقد**، ص49 – 50.

و((إن كان النقد العربي في العصر الإسلامي امتداد للنقد الجاهلي، فإنّ هذا العصر لم يحرم تعليل أسباب استحسان الشعر، ووضع بعض المقاييس فهذا الخليفة عمر بن الخطاب (23هـ/644م)، يعجب بزهير بن أبي سلمى ويدعوه: "أشعر الشعراء"، لأنّ زهيرا ينظر الخليفة عمر، كان لا يعاظل بين الكلام ولا يتبع حوشيه ولا يمدح الرجل إلا بما فيه))[1].

((كان الإسلام كفيلا إذن بتغير نمط النقد، تبعا لتغير نمط العقل، وكان الرّسول، قد لاحظ بعض الملاحظات النقدية على قلّة مبالاته بالشعراء، إلا فيما يخص الدعوة، وكانت هذه الملاحظات جوهرية حقا، وأهمها الصدق والخلق، أمّا الصدق فقد روي أن النابغة الجعدي أنشد رسول قصيدته التي يقول فيها:

أَتَيْتُ رَسُولَ الله إِذْ جَاءَ بِالهُدَى وَيَتْلُو كِتَابًا كَالمَجَرَةِ نَيِّرًا

فلما قال:

بَلَغْنَا السَّمَاءَ مَجْدُنَا وَحُدُودُنَا وَإِنَّ نَرْجُوا فَوْقَ ذَلِكَ مَظْهَرًا))[2].

((قال له المصطفى: إلى أين يا أب ليلى؟ فقال: إلى الجنّة، فقال الرسول: إن شاء الله، ولا ريب أن هذه الملاحظة تحد من غلواء المبالغة الجوفاء، فحاول رد الشاعر إلى سبيل الصدق المعقول، وأمّا الخلق، فقد روي أن النابغة الجعدي، أيضا قال:

لا خير في علم إذا لم يكن لــه بـــوادر تحمي مقوه أن يكدرا
ولا خير في جهل إذا لم يكن له حليم إذا ما أورد الماء أصدرا

قال له النبي: لافض الله فاك))[3].

(1)المرجع نفسه، ص49 – 50.

(2) عصام قصبجي، **أصول النقد العربي القديم**، (د ط)، مديرية المطبوعات الجامعية، جامعة حلب – سوريا، 1411هـ/1991م، ص14.

(3)عصام قصبجي، **أصول النقد العربي القديم**، مرجع سابق، ص14 – 15.

((وعلى الرغم من اتساع أفق النقد وجنوحه إلى شيء من الدقة في تحديد خصائص الصياغة والمعاني واتخاذ طريقة إلى التعليل، نوعا ما فيما يصدره من احكام يتناولها بشيء من التحليل ولكنه على الرغم من ذلك ظلّ كما كان فطريا يخضع للطبع والسليقة كعهده في الجاهلية))[1].

3. النقد في العصر الأموي:

تعد هذه الحقبة فاصلة في التاريخ العربي ف((بوصول بني أمية إلى سدّة الخلافة تغيرت الأحوال، فقد أصبح للخلفاء مجالسهم الخاصة التي تشبه مجالس الملوك من حولهم، وكانت هذه المجالس منتدى للشعراء والأدباء يمدحون الخليفة ويشيدون بمناقبه، وينالون عطاياه))[2].

وفي ظل هذه التغيرات التي طرأت، بقيت الأحكام النقدية تراوح مكانها من البساطة والذوقية القائمة على درجة من الانفعالية، وهذا يدل على أنّه وبالرغم من التطورات التي حصلت إلا أنّها لم تمس بالحكم النقدي.

((ومع اقتراب القرن الأول الهجري من نهايته تغيرت الحال كثيرا، فقد ازدهر الشعر الإسلامي، وكثر الشعراء الذين شبّوا في الإسلام ونضجت ملكاتهم الشعرية))[3].

و((يخطو النقد العربي إلى الأمام خطوات ثابتة وثيقة بفضل مجالس العلم والأدب التي غُصَّت بالعلماء والرواة للعربية والشّعر، وعظمت رحلة الرّواة إلى البوادي للسّماع من الأعراب والأخذ منهم))[4].

---

(1)المرجع نفسه، ص15.

(2) بشير أحمد الميري، **النقد الأدبي منذ ظهور الإسلام حتى نهاية العصر الأموي**، ص10.

(3) المرجع نفسه، ص10.

(4) نظمي عبد البديع، **في النقد الأدبي**، (د ط)، جامعة الأزهر، كلية الدراسات الإسلامية والعربية بالإسكندرية، مصر، 1408هـ/1907م، ص26.

وهذا يؤكد على أن الحقبة الأموية قد مثلت القفزة النوعية على صعيد الحكم وبداية تخلصه من الطابع المعياري القائم على الذوق والانفعال.

4. النقد في العصر العباسي:

يبقى العصر العباسي أزهى عصور النقد والأدب وفيه ((رأينا إمعانا في الحضارة وإمعانا في الترف، ورأينا الشعر والأدب يتحولان إلى من وصناعة بعد أن كانا يصدران عن طبع وسليقة))[1].

إنّ العامل الذي أدى إلى تطور النقد في هذا العصر هو عامل تداخل الأجناس الذي ولدّ تيارا أيقظ الأدب والشعر، وبعث منهما روح جديدة، وأعطى للذوق لباسا جديدا، انتقل كل ذلك بالنقد من إنتفاء التعليل والاعتماد على السليقة إلى البناء وفق القواعد والتعليل المضبوط.

وانقسم نقاد الأدب وعلماؤه في هذا العصر إلى ثلاث طبقات:

1) ((طائفة من النقاد تقف إعجابا وتقديرًا بالشعر القديم وتزري بشعر المحدثين وفنهم لما فيه من إسقاف وإراق وإحالة ونقص وطبع وتفاوت نفس وتباين ملكات وهم علماء الأدب واللغة الذين تثقفوا ثقافة أدبية وعربية خالصة))[2].
2) ((وطائفة أخرى من النقاد حكموا الذوق الأدبي وحده في الشعر، وحكموا بالفضل لمن يستحقه جاهليا كان أم إسلاميا أو محدثا كالجاحظ وابن قتيبة والمبرّد وابن المعتز))[3].
3) ((وطائفة أخرى حكمت الثقافات الحديثة في النقد كما فعل قدامة في نقد الشعر ومن هؤلاء جماعة من الكتاب تعمقوا في نقد الشعر ومناهجه ولا سيما بعد

(1) أحمد أمين، **النقد الأدبي**، (د ط)، مؤسسة هنداوي، القاهرة – مصر، ص379.

(2) محمد عبد المنعم خفاجي، **الآداب العربية في العصر العباسي الأول**، ط1، دار الجيل، بيروت – لبنان، 1992، ص374.

(3)محمد عبد المنعم خفاجي، **الآداب العربية في العصر العباسي الأول**، ص377.

إطلاعهم على ترجمة كتاب أرسطو في نقد الشعر الذي نقله أبو بشر من السريانية إلى العربية))[1].

((ثم يكون ثاني هذه الكتب، كتاب الموازنة لأبي القاسم بن بشر بن يحي الآمدي البصري الذي يفصح في مقدمته كتابه عن رغبته في إقامة الموازنة بين الشاعرين الطائيين أبي تمام والبحتري))[2].

لقد شكل العصر العباسي بعثة جديدة بإحياء روح النقد الأدبي الذي أصبح نقدا مؤسسا على قواعد وأصول علمية، ودليل ذلك ما احتواه هذا العصر من مصنفات وكتب جدّ مهمة في مسار النقد الأدبي، والتي حملت نقاشات لعدة قضايا قد طرحت في هذا العصر الذهبي.

ثالثا: النقد في العصر الحديث:

عاش النقد مرحلة أخذ ورد، مرحلة صراع فكري وأسلوبي بين تيارين؛ محافظ سعى إلى بعث التراث وإحياءه وإلى ضرورة التمسك به، وآخر نفى فكر المحافظين داعيًا إلى التجديد، وإلى ترويج الآداب الغربية ومذاهبها مبشرا بأدب جديد، فهذا التباين أبرز لنا مدرستين رئيسيتين في هذت العصر وهما:

1. مدرسة المحافظين:

وأصحابها في العموم حاولوا المحافظة على القديم وضرورة التمسك به وإعادة إحيائه من جديد.

(1) المرجع نفسه، ص377.

(2) منيف موسى، **في الشعر والنقد**، ص58.

و((تعد حركة البعث من أوائل الحركات النقدية في العصر الحديث، أخذت على عاتقها مهمة إحياء الحركة الأدبية بربطها بالماضي وأدواته وبأصوله والاستلهام من الموروث الفكري الإسلامي))[1].

تعد النزعة الإحيائية أول حركة نقدية في العصر الحديث، وهي مرحلة إعادة النبض للنقد القديم بما يحتويه من قيم فنية ونقدية، والإستزادة من الفكر الإسلامي الذي مرءاته اللغة الجزلة والإقتباس من القرآن الكريم والسنة النبوية.

1.1- أنصارها:

وأحسن من يمثل هذا الاتجاه، الشيخ "حسين المرصفي" و"محمد المويلحي" ونبدأ بـ:

أ. حسين المرصفي:

ولعله أبرزهم وهو ((من قرية مرصفا بمحافظة القلوبية، تلقى علومة بالأزهر الشريف، كما كان أستاذا للأدب والعلوم العربية به، وبدار العلوم الخديوية، وبمدرسة المعلمين العليا، قد ألف عدة كتب من أهمها: "الكلم الثمان"، "الوسيلة الأدبية للعلوم العربية"))[2].

يعد كتاب الوسيلة من أحد أهم المؤلفات التي ساهمت في إحياء التراث العربي والذي حوى بين دفتيه عدة علوم كان لها الأثر البارز في مرحلة النهضة الأدبية كالبلاغة والصرف والنحو والعروض.

((في عام 1872 ألّف المرصفي كتابه الوسيلة وهو في جزئين (680 صفحة) ويعد هذا الكتاب طليعة التأليف الحديث في موضوع الأدب))[3]، ((وهو يتضمن المحاضرات

(1) كمال لعور، **بواكير الممارسة النقدية الحديثة بين تعقيدات المقارنة وأحكام النقد البعثي**، مجلة الذاكرة، العدد1، الشلف، يناير 2020، ص241.

(2) محمد حسن عبد الله، **مداخل النقد الأدبي الحديث**، الدار المصرية السعودية للطباعة والنشر، القاهرة – مصر، (د ط)، 2005م، ص26.

(3)المرجع نفسه، ص26 – 27.

التي ألقاها الشيخ حسين المرصفي على طلبة دار العلوم في السنوات الأولى من إنشائها))[1].

و((الكتاب على أية حال شديد الشبه بكتب الأمالي العربية القديمة كأمالي أبي علي القالي وأمالي المبرد وغيرهما، وإن اختلف عن الأمالي القديمة في أنه لم يقتصر على الأدب وروايته، بل شمل جميع علوم اللغة العربية من نحو وصرف وعروض وفصاحة وبيان وبديع ومعان، ثم الأدب بفرعيه الشعر والنثر متحدثا عن كل فن على حدة ولكن على طريقة الإستطراد والتداعي المعروفة في كتب الأمالي القديمة))[2].

و((من أهم ما تحدث عنه الشيخ حسين المرصفي في وسيلته المنهج الذي رسمه لمعاصريه وتلاميذه لتجريد إنتاجهم الشعري والنثري والسمو به إلى مرتبة الأدب العربي القديم البالغ الروعة والجمال))[3].

يمكن القول إن الشيخ حسين المرصفي في وسيلته قد وجه الأدب والأدباء إلى السبيل القويم في بعث الأدب العربي عامة، والشعر على سبيل الخصوص الذي يشكل الجزء الكبير من تراثنا الأدبي القديم.

ومن خلال ما تقدم تبين لنا أن الناقد حسين المرصفي قد سار على نمط الأقدمين في مجال النقد، وإن كان أبدى عليه سمة الحداثة، ومن بين أبرز القضايا التي يتبناها هذا الناقد قضية الذوق.

إنّ قضية الذوق التي تكلم فيها المرصفي بأسلوب جديد، والتي اعتمد عليها في بداية الأمر على ابن خلدون والذي يرى أن الذوق حصول ملكة بلاغة اللسان قال المرصفي: ((وقال ابن خلدون أيضا في تفسير كلمة الذوق الدائرة على ألسنة المتكلمين في هذا

(1) محمد مندور، **النقد والنقاد المعاصرون**، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، مصر، (د ط)، مارس 1997، ص07.

(2) المرجع نفسه، ص07.

(3)محمد مندور، **النقد والنقاد المعاصرون**، ص12.

الشأن أعلم أن لفظة الذوق يتداولها المعتنون بفنون البيان ومعناها حصول ملكة بلاغة اللسان))[1].

الذوق عند مرصفي مشابه لما قدمه ابن خلدون حول هذه القضية فهما يريان أن الذوق يكون على السليقة والتي تحصل بالدربة والممارسة، وهذه الأخيرة هي التي تبين لصاحبها كيف يهتدي إلى أجود التعابير وأحسنها موافقة لتراكيب العرب في لغتهم، فالذوق يحصل بالممارسة والدراية.

ويصر المرصفي إلى أنّ ملكة الذوق مرهونة بالبلاغة والبيان، فيرى أن هذه الملكة تمنع صاحبها من ارتكاب الأخطاء، ومن الإتيان بتراكيب مخالفة لتراكيب العرب فيقول: ((فملكة البلاغة في اللسان تهدي البليغ إلى وجوه النظم وحسن تركيب المواقف لتراكيب العرب في لغتهم ونظم كلامهم ولو رام صاحب هذه الملكة جيدا عن هذه السبيل المعينة والتراكيب المخصوصة لما قدر عليه ولا وافق عليه لسانه))[2].

وبهذا فإنه يرفض رفضا تاما ما دعا إليه أنصار التجديد، وبهذا فإنّ نقد المرصفي يندرج ضمن المنهج التقليدي لأنّه سار على نهج الأقدمين، إلا أنّه لم يكن مقلدًا متعصبًا، بل كان يحكم ذوقه وعقله أثناء التقليد، ودليل ذلك ما نقله الأستاذ كمال لعور في مجلة الذاكرة العدد1، حيث قال: ((والحقيقة التي تخالف بعض الأطروحات أنّ المرصفي لم يكن مجرد مقلد أعمى للمناهج القديمة بل كان له رأي علمي مؤسس، فقد كان يهتم بالتراث العربي القديم، وبعث مقاييسه النقدية، غير أنّه لم يكن مجرد ناقل، أو مقلد لأولئك النقاد))[3].

ب. محمد المويلحي:

(1) الشيخ حسين المرصفي، **الوسيلة الأدبية إلى العلوم العربية**، مطبعة المدارس الملكية، القاهرة – مصر، ج2، ط1، 1279هـ، ص407.

(2)الشيخ حسين المرصفي، **الوسيلة الأدبية إلى العلوم العربية**، ص407.

(3) كمال لعور، **بواكير الممارسة النقدية الحديثة بين تعقيدات المقارنة وأحكام النقد البعثي**، ص242.

يعد المويلحي من أبرز ممثلي هذا الاتجاه أيضا وقد ((ولد محمد المويلحي في القاهرة سنة 1858 لأسرة ثرية تأخذ بحظها من الثقافة ... وكان أبوه إبراهيم يشتغل بالتجارة، إلا أنّه كان يجد في نفسه ميلا شديدًا إلى الأدب، فعكف على قراءة عيونه، وصحب كبار الأدباء في عصره، وتتلمذ لجمال الدين الأفغاني مع من تتلمذوا عليه، وكان يحذق الفرنسية والتركية كما يحذق العربية (...) توفي سنة 1906))[1].

يعد المويلحي من أبرز ممثلي هذا الاتجاه أيضا، وعلى الرغم من اتساع ثقافته مرورًا بالثقافة الغربية، إلا أنّه لم يتأثر بها، وكذلك لم يعطها قيمة كما أعطاها أصحاب التجديد وهذا ما أقر به "شوقي ضيف" حين قال: ((ومع ثقافته الواسعة بالآداب الفرنسية كان محافظا شديد المحافظة، وتتضح هذه المحافظة في سلسلة مقالات نشرها في "مصباح الشرق"، حين أخرج شوقي ديوانه الأول سنة 1898 وزعم في مقدمته أنّه سيحاول التجديد على ضوء ما قرأ في الآداب الغربية، وأشاد بشعر الطبيعة عند القوم. وتساءل المويلحي في مقالاته ما الجديد الذي يريد شوقي إدخاله إلى العربية، وقال له إنّك تنظم بهذه اللغة فلابد أن ترجع في ألفاظك إليها لأنك تتحدث بها. وقد قرأنا مثلك في الآداب الغربية، فلم نجد للقوم معاني يتفوقون بها عن الشرقيين، بل إنّنا معشر الشرقيين نفوقهم في المعاني، وحتى موضوعات شعرهم التي تتغنى بها مثل "الطبيعة" للعرب فيها كثير، وما على الشاعر المجدد من أمثالك إلا أنّ يتصفح دواوين القدماء، فيجد فيها لا في الغرب ضالته التي ينشدها))[2].

ومن خلال ما قدمه "شوقي ضيف" يتبين لنا أن المويلحي على اتساع ثقافته واطلاعه على الثقافة الغربية الحديثة والمعاصرة، إلا أنّ نقده تقليدي، إذ يرى أن الأدب القديم العربي هو الأمثل والنموذج الذي يحتذى به. وبأنّه يتفوق في موضوعاته ومعانيه

(1) ينظر: شوقي ضيف، **الأدب العربي المعاصر في مصر**، دار المعارف، القاهرة – مصر، ط10، (د س)، ص234 – 235.

(2)شوقي ضيف، **الأدب العربي المعاصر في مصر**، ص235 – 236.

عن الآداب الغربية، فيوصي بوجوب الإفتداء بالتراث الأصيل وبالمقابل ينهي عن تقليد الآخر.

2. مدرسة المجددين:

تعد الفترة التي بدأت معها ظهور فكرة التجديد تمس الشعر العربي، فترة مهمة في تاريخ تحوله ومراحل تطوره، وقد بدأت ((بدأت بدعوة أطلقها شاعر القطرين خليل مطران خليل عام 1900م، في "المجلة المصرية" لتحرير الشعر العربي من قيوده، وامتدت إلى ظهور "ديوان مطران" الذي استجاب لهذه الدعوة 1908م، ثم ظهور كتاب الديوان بقلم العقاد والمازني عام 1922م، وكتاب الغربال لمخائيل نعيمة، وهو دستور التجديد في شعر المهجر عام 1925م))[1].

ويعد كتاب الديوان وكتاب الغربال مادتين أساسيتين في تحري مسار النقد في العصر الحديث، وإن البنود التي أرساها العقاد ونعيمة أعدت ثورة على رواد البعث والإحياء لما تمّ تفنيده واستبدال المفند بالجديد المواكب لأفكار العصر.

((ولا يكاد ينتهي العقد الأول من القرن العشرين حتى ظهر جيل جديد من الشعراء الكتاب أو الكتاب الشعراء أولئك الذين استطاعوا أن يوطدوا علاقاتهم بالتراث الأدبي العربي والفكر الغربي على السواء، فنشط ذلك روح المراجعة لكل ما كان قد تحقق في الساحة الأدبية في الحقبة السابقة الممتدة إلى ذلك الزمن))[2].

((وتتحدد مجموعة هؤلاء الشعراء الكتاب بثلاثة هم عبد الرحمان شكري، عباس محمود العقاد، إبراهيم عبد القادر المازني))[3].

---

(1) حبيب الله علي إبراهيم، **نقد الشعر عند جماعة الديوان**، مجلة دراسات إنسانية وإجتماعية جامعة وهران، العدد2 و3، وهران، جانفي 2013، ص67.

(2) شوقي ضيف، **الأدب العربي المعاصر في مصر**، ص58.

(3)حبيب الله علي إبراهيم، **نقد الشعر عند جماعة الديوان**، ص69.

وهؤلاء الثلاثة قد شكلوا مدرسة الديوان التي عرفت بعدائها الشديد والتي تقف موقف خصومة من مدرسة الإحياء والبعث.

ولقد حدد العقاد مذهب هذه المدرسة فقال: ((وما نميز به مذهبنا أنّه مذهب إنساني مصري عربي: إنساني لأنّه من ناحية يترجم طبع الإنسان خالصًا من تقليد الصناعة المشوهة (...) ومصري لأنّ دعاته مصريون تؤثر فيهم الحياة المصرية، وعربي لأنّ لغته العربية))[1].

ولقد كانت هذه المدرسة متأثرة بالنقد الأجنبي في عمومه، والإنجليزي في خاصته في القرن التاسع عشر، وكانت متأثرة بالناقد "هازليت" كما يذكر العقاد: ((ولا أخطئ إذا قلت أن "هازليت" هو إمام هذه المدرسة كلها في النقد لأنّه هو الذي هداها إلى معاني الشعر والفنون وأغراض الكتابة ومواضع المقارنة والاستشهاد))[2].

ويتضح لنا من هذا كلّه أنّ جماعة الديوان قد حملوا على عاتقهم النفور من القواعد الجاهزة والأنماط المحافظة، ودعوا إلى مناهج ذات بعد دلالي مع التحليل والمقارنة، وتوجب على الناقد التفتح على الثقافات الغربية من أجل تحقيق المعنى الصحيح للتقدم.

1.2- أنصار مدرسة المجددين:

إن أبرز من يمثل هذا الاتجاه "عباس محمود العقاد" من الديوانيّن وميخائيل نعيمة من المهجرين ونبدأ بـ:

1. عباس محمود العقاد:

من أعضاء مدرسة الديوان وأبرزهم ((ولد عباس محمود العقاد في أسوان سنة 1889 في أسرة متواضعة، ثمّ التحق بالمدرسة الإبتدائية فالثانوية (...)، ومال إلى حزب الأمة وراح

(1) ينظر: عباس محمد العقاد، إبراهيم المازني، **الديوان (في الأدب والنقد)**، دار الشعب للطباعة والنشر، القاهرة – مصر، ط4، (د س)، ص4.

(2) عباس محمود العقاد، **شعراء مصر وبيئاتهم في الجيل الماضي**، مطبعة حجازي، القاهرة – مصر، (د ط)، 1937م، ص192.

يكتب في الصحف. ويدرس في المدارس الحرة (...)، وفي سنة 1938م انتخب عضوًا في مجمع اللغة العربية وظل يقاوم النازية والفاشية والإستعمار إلى أن توفي سنة 1964م))[1].

وقال عنه محمد مندور: ((هو رجل خصب منتج، أنفق عمره كله في القراءة والكتابة حتى أثرى أدبنا المعاصر بعدد ضخم من المؤلفات التي تربو على السبعين))[2].

لقد دعا العقاد إلى تبني القيم الجديدة، والثورة على القيم القديمة ويتحدد ذلك في قوله: ((فلهذا اخترنا أن نقدم تحطيم الأصنام الباقية على تفصيل المبادئ الحديثة، ووقفنا الأجزاء الأولى على هذا الغرض، وسنرد فيها بنماذج الأدب الراجح من كل لغة، وقواعد تكون كالمسار وكالميزان لأقدارها))[3].

وقد جسد دعوته في كتاب "الديوان" الذي سميت المدرسة به، ((والكتاب هذا احتوى على عدة مقالات نقدية ذات طبيعة ثورية حملت معول الهدم لكل قيود القديم، وفتحت الآفاق أمام التجديد والإنطلاق في اللامحدود))[4].

و((بهذا المعنى نستطيع اعتبار كتاب الديوان، بداية النقد الأدبي الحديث في مصر، معتمدين على أنّه يمثل قفزة نوعية لتراكم ممتد من دعوات التجديد ورفض التقليد))[5].

ومن خلال ما تقدم يظهر لنا أن هنالك من ينظر للأدب نظرة جديدة تتماشى مع روح العصر، مع رفض كل موروث والآخذ بالثقافة الغربية.

---

(1) حنا الفاخوري، **الجامع في تاريخ الأدب العربي (الأدب الحديث)**، دار الجيل، بيروت – لبنان، ط1، 1986، ص289.

(2) محمد مندور، **النقد والنقاد المعاصرون**، ص63.

(3) عباس محمود العقاد، إبراهيم المازني، **الديوان**، ص4.

(4) سيد سليمان سادات اشكور، **جماعة الديوان، التقدم الأدبي والنقدي في القرن العشرين**، مجلة إضاءات نقدية، دهشت – إيران، العدد2، إيران، حزيران 2011، ص17.

(5) سيد البحراوي، **البحث عن المنهج في النقد العربي الحديث**، دار شرقيات للنشر والتوزيع، القاهرة – مصر، ط1، 1993م، ص17.

والعقاد كان موسعي الفكر متنوع الثقافات وخاصة الثقافة الإنجليزية، فقد كان يتقن اللغة الإنجليزية مما سمح له ذلك بالتوغل في الثقافة الغربية على العموم يقول شوقي ضيف: ((هو غربي التفكير، تزود من آداب الغرب بكل ما استطاع من غذاء عقلي، فهو مع إيغاله في قراءة الأدب الإنجليزي يتوغل في قراءة الآداب الغربية المختلفة عن طريق اللغة الإنجليزية التي يتقنها))[1].

ويتبين لنا أن العقاد كان ناقدًا ذو سعة، ومن الأعلام البارزة في العصر الحديث، متنوع المشارب، إثر كتاب الديوان الذي يرسم خطوطا عريضة في النقد الحديث، ومع هذا نال قلمه أخطاء جعلت نقده تشوبه الشوائب، منها ما عرضه في كتاب الديوان بذاته من أسلوب تجريح ونقد لاذع في الذات المؤلفة دون الأثر الأدبي الذي هو إطار النقد الأدبي، وهذه الوقعة قد أسقطت الديوانيّن في قعر التشتت ثم الإنحلال.

2. ميخائيل نعيمة:

هو شاعر وأديب وناقد((ولد نعيمة في سكنتا سنة 1889م، وتلقى فيها دروسه ثم في الناصرة، وانتدب أخيرا لمتابعة دروسه في روسيا، وفي سنة 1911 عاد إلى لبنان ومنه إلى واشنطن حيث دخل الجامعة وتخرج منها سنة 1916 بشهادة الآداب والحقوق. وفي سنة 1919 زار فرنسا، وفي سنة 1920 انتخب مستشارا للرابطة القلمية، وفي سنة 1932م عاد إلى لبنان وقضى معظم أوقاته في الشخروب))[2].

(1) شوقي ضيف، **الأدب العربي المعاصر في مصر**، ص140.

(2) حنا الفاخوري، **الجامع في تاريخ الأدب العربي (الأدب الحديث)**، ص367.

هو ((وواحد من الأقطاب الثلاثة الذين ولدوا في نفس عام 1889م، وهم طه حسين والعقاد والمازني))[1].

وهؤلاء هم الذين حملوا راية التجديد في العصر الحديث من خلال المقالات النقدية التي كانت تنشر في الصحف المصرية، ((وتدعوا – المقالات – إلى التحرر من قيود العادة والصنعة، والثبات على شكل واحد ولغة واحدة، والإنطلاق في الشعر عن موقف نفسي وتجربة ذاتية ورؤية للحياة والوجود))[2]، وعلى إثر ذلك حمّل نعيمة كتابه "الغربال" الذي يعد من أشهر المصنفات النقدية في العصر الحديث.

تطرق نعيمة في كتابه "الغربال" إلى مفهوم النقد من خلال معنى "الغربلة" فقال: ((إن مهنة الناقد الغربلة، لكنّها ليست غربلة النّاس، بل غربلة ما يدونه من الأفكار والشعور والميول (...) هو ما تعودنا أن ندعوه أدبا. فمهنة الناقد إذا هي غربلة الآثار الأدبية))[3].

إن الناقد الفذ حسب نعيمة هو الذي يبرز قيمة العمل الأدبي حسب الأفكار وما يختلج من شعور ورغبة، وليس الناقد بمن يجرح الأديب في حد ذاته كما فعل العقاد في أحمد شوقي، وهذا الأخير قد أبعد النقد الأدبي عن مساره الحقيقي.

لم يقف نعيمة عند معنى الغربلة فقط بل قد شنَّ في غربالـه حملات قوية وعنيفة ضد أنصار الأدب التقليدي وخاصة في مقاله "نقيق الضفادع"، والذي سمىَّ فيه المحافظين "ضفادع الأدب" فقال: ((كلما خطت خطوة – اللغة العربية – غلت مراجل ضفادعها فقاموا يقلقون الأحياء والأموات بضوضائهم))[4].

---

(1) محمد زكي العشماوي، **أعلام الأدب العربي الحديث واتجاهاتهم الفنية**، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية – مصر، (د ط)، 2000م، ص119.

(2) المرجع نفسه، ص119.

(3) ينظر: ميخائيل نعيمة، **الغربال**، نوفل للطباعة والنشر، بيروت – لبنان، ط15، 1991، ص13.

(4)ميخائيل نعيمة، **الغربال**، ص96.

عدّ نعيمة كلام المحافظين عن اللغة "ضفادع" بأسلوب تهكم بحيث كلما عثروا على تجديد في اللغة ووسائلها علت أصواتهم وصيحاتهم معلنين أن هذا خروج عن المعهود.

كما أنّ نعيمة سعى إلى إدراج العامية في الفصحى ومن ذلك ما نقله حول انتقاد ناقد لبيت(*) "جبران خليل جبران"، وبالضبط في كلمة "تحمم" وهذا ما أزعج نعيمة فقال: ((لماذا جاز لبدوي لا أعرفه ولا تعرفونه أن يدخل على لغتكم كلمة "استحم" ولا يجوز لشاعر أعرفه وتعرفونه أن يجعلها "تحمم"؟ (...) وما هي الشريعة السرمدية التي تربط ألسنتكم بلسان أعرابي عاش قبلكم بألوف السنين ولا تربطها بشاعر معاصر لكم؟...))[1].

إنّ لفظة "تحمم" حسب نعيمة هي ما يناسب المقام اللغوي اليوم بحيث هي سهلة في الفهم والنقل، وفصحة القدماء ما هي إلا عبئ يثقل كاهل اللغة.

ومن هذا نرى أنّ اللغة العربية الفصحى لها جذورها الأصيلة الضاربة في القدم، وهي محفوظة بقواعدها وقوانينها الخاصة، وما نراه أنّ العامية لا مورد ولا مضرب لها، إنّما هي أصوات أحدثت إثر التقلبات الثقافية والاجتماعية التي جعلت اللغة السليمة في الحضيض، وأمّا سهولة التواصل بالعامية لا يعني أن نجعل منها مركز لأنّ ذلك يبيد الأصل وبالمقابل تندثر اللغة الفصحى الحقيقية.

رابعا: الرافعي مناهضا للتجديد:

كان الرافعي ناقدا فذا ونبراسا يحتذى به في اللغة والأدب، وما ألّفه من كتب خير دليل على ثقافته الواسعة وفكره المنير وأسلوبه الجميل(*)، لقد كان مدافعا عن حياض الدرس التراثي العربي لما له من باع في اللغة ودقة في الأسلوب.

(*) قال جبران خليل جبران: "هل تحممت بعطر ... وتنشفت بنور"

(1) ينظر: ميخائيل نعيمة، **الغربال**، ص97.

(*) ينظر: الملحق من المذكرة، ص49 – 50.

وهذا كان الفتيل الذي أشعل معاركه مع الجديد من حيث المنهج والأسلوب، فكانت معركته مع "العقاد" و"طه حسين" من أهم المعارك التي شهدها الأدب الحديث.

1. بين الرافعي والعقاد: "من الصداقة إلى العداوة الشديدة"(**)

مدح الزعيم سعد زغلول كتاب "إعجاز القرآن للرافعي" بقوله: ((كأنّه تنزيل من التنزيل، أو قبس من نور الذكر الحكيم))[1]. لكن هذا المدح لم يأت على هوى الناقد الكبير عباس محمد العقاد، فاتهمه بأنّه واضع هذا الثناء لا سعد، وكان هذا الاتهام شرارة في بدأ المعركة بينهما، وأكد الرافعي بأنّ هذا الكلام إنّما هو مرءه الغيرة والحقد.

وبعدها حدثت أزمة النقد الشديد للنشيد القومي الذي ألفة أمير الشعراء أحمد شوقي، ووجه كلا الأدببين نقدًا لهذا النشيد، وعليه اتهم العقاد الرافعي بسرقة كتابته النقدية، ثم أبدى العقاد رأيه في كتاب "إعجاز القرآن"، فهب الرافعي بوابل من المقالات اللاذعة في نقد العقاد نشرها عام 1930م ثمّ جمعها في كتاب "على السفود".

إذن، هذه المعركة كانت معركة أسلوب لأنّ العقاد كان يقرّ بالشعر الجاهلي قد ذم الشعر الحر ورأى بأنّه مهزلة وهروب من الواقع وهذا لا يجعله في ميزان واحد مع طه حسين.

2. بين الرافعي وطه حسين "في الشعر الجاهلي":

إن المعركة بدأت بصدور كتاب الرافعي "تاريخ آداب العرب" فانتقد طه حسين، واشتدت المعركة حيث أصدر الرافعي كتاب "رسائل الأحزان" وانتقده أيضا. فرد عليه الرافعي يتحداه بأن يكتب مثل هذه الرسائل.

وقد حمى وطيس المعركة عندما أصدر طه حسين كتابه "في الشعر الجاهلي" الذي جعل منهج الشك فيه بابا لمعرفة الأصول، وهنا برز الرافعي فارس القلم لحسين مفندًا حججه

(**) قال عباس محمد العقاد: ((إنه ليتفق لهذا الكاتب من أساليب البيان مالا يتفق مثله لكاتب من كتاب العربية في صدر أيامها)).

(1) محمد سعيد العريان، **حياة الرافعي**، المكتبة التجارية الكبرى، مصر، ط3، 1955م، ص186.

وشكوكه في مجموعة مقالات جمعت بعد وفاته في كتاب "تحت راية القرآن"، وهذا ما سنتناوله بنوع من الإسهاب في الفصل الثاني.

خامسا: تعريف النقد عند الرافعي:

ومع بروز تيار المجددين الذي التقف من الغرب ما التقف والذي ابتلي بالتعصب لآدابه وثقافاته، وهذه العصبية استحكمت الذوق فغيرت الأحكام، وأصبح النقد مبني على حكم المذهب الذي اعترفوا منه قال الرافعي: ((فلما ضربت هذه العصبية واستحكمت وجهت الذوق في الأدب وأساليبه إلى تفسير معين بحكم المذهب والهوى ثمّ جعلت الفهم من وراء الذوق))[1].

وأمّا قول الرافعي هنا إنّما عن حرص فذوق هؤلاء المجددين أصبح هجينًا ليس خالصًا مما أدى إلى تغيير الأحكام النقدية وكذا إلى الإنسلاخ عن الأصول المعهودة التي نشأت عليها اللغة العربية فتغير حالهم إلى التشكيك.

وبالتالي لم يكن النقد عند الرافعي إلا ذوقا خالصًا مستمد من الجذور النفيسة حتى يكون الفهم فهما صحيحا، ولا يمكن تقديم الفهم عن الذوق وإلا لختل ميزان النقد يقول الرافعي –رحمه الله: ((وأنت تعلم أن الذوق الأدبي في شيء إنّما هو عن فهمه، وأن الحكم على الشيء إنّما هو أثر الذوق فيه، وأنّ النقد إنّما هو الذوق والفهم جميعًا))[2].

إذن النقد عند الرافعي مداره الذوق والفهم، والذوق يتمثل في الينابيع الصافية للأدب العربي من علوم البلاغة ونحو ذلك؛ من تخير اللفظ، وسعة في الاطلاع، وفهم التراكيب، ودقة البناء.

وعليه فإن الرافعي في كلامه عن النقد أو الذوق لم يختلف عما قدمه حسين المرصفي في كتابه الوسيلة الأدبية حينما تكلم عن ذوق ربط بالبلاغة وهذا إنّما مرده تأثرهم بالنقد في العصر العباسي ونحوه من العصور السالفة، إلا أنّه قدم خدمة للغة

(1) مصطفى صادق الرافعي، **تحت راية القرآن**، ط1، دار الكتب، بيروت – لبنان، 2003م، ص10.

(2)مصطفى صادق الرافعي، **تحت راية القرآن**، ص10.

والأدب العربي بالدفاع عنه ضد المشككين ومن يريد اختلاط الصور على غير محمل، وبأنّه لا يسمح بإدخال لغة غربية عن اللغة الأصلية، فقد رفع راية القرآن بجد، ودافع بضراوة عن الأصول الثابتة.

الــفصل الــثانــي

"الأراء النقدية في كتاب تحت راية القرآن"

أولا: عرض لكتاب "تحت راية القرآن"

1. وصف الكتاب:

كتاب "تحت راية القرآن" لمصطفى صادق الرافعي نموذج من نماذج معاركه مع نقاد عصره، احتوى على مجموعة من الآراء والتوجهات النقدية ردًا على مخالفيه فكرًا وأسلوبًا ومنهجًا.

((وهو كتاب لم ينشئه ليكون كتابًا، ولكنها مقالات تفرقت أسبابها واجتمعت إلى هدف واحد، وكانت مزقًا مبعثرة في عديد من الصحف والمجلات فجمعها بين دفتي كتاب))[1]. ما جعل من الكتاب مسرحًا للعديد من المعارك، وقد كانت كل واحدة على حدى: ((فاجتمع بها رأي الرافعي في القديم والجديد على اختلاف أسبابه ودواعيه وما كتب له))[2].

وقد بلغ عدد المقالات سقف السبعة والأربعين مقال (47) اشتملت على أهم قضايا العصر، كاللغة العربية، والدين والقرآن، والتقليد والتجديد ((وما كان يرى في عمله ذلك إلا أنّه جهاد تحت راية القرآن؛ فمن ذلك كان اسم كتابه الذي جمع به كل ما كتب في المعركة بين القديم والجديد من سنة "1908 – 1926"))[3].

2. منهج الكتاب:

أشار الرافعي إلى منهجه في الصفحات الأولى من كتابه، إذ نحى منحًا بيانيًا، فيقول: ((ثمّ نزعنا في أسلوب الكتاب إلى منحى بياني نديره على سياسة من الكلام بعينها))[4]، سبيله البياني القائم على التشبيه والتمثيل، فهو يعرض الفكرة ويعطيها ما يناسبها مثلاً تارة، ويربطها بالسياق التاريخي في أخرى.

(1) محمد سعيد العريان، **حياة الرافعي**، المكتبة التجارية الكبرى، مصر، ط3، 1955م، ص162.
(2) المرجع نفسه، ص162.
(3) المرجع نفسه، ص162.
(4)مصطفى صادق الرافعي، **تحت راية القرآن**، ص05.

ومن التشبيه نجد قوله: ((وصار أكثرهم بلغتيه كالميزان ثقلت كفة منه فرجحت وخفت الأخرى فظهرت فارغة))[1].

فنجد الرافعي قد شبه لغة المجددين بالميزان من حيث لغتهم الأصل واللغة الدخيلة، مع أنهم قد تخلوا عن الأصل فالكفة مائلة والميزان بيّن في ميلانه.

قوله: ((...) وهم – المجددين – لا يأخذون من لغتهم ولا يصيبون من آدابها إلا كما يأخذ الإسفنج من الماء، ينتفخ بقليل منه ثمّ لا يلبث أن يمجه و يتطاير منه ولا يثبت فيه شيء))[2].

شبه الرافعي المجددين بالإسفنجة، فهم يتعلمون ويعرفون من الأدب القويم واللغة الصحيحة عزفا حتى إذا عانقتهم رياح الغرب وثقافاته ضاع وتطاير ما كانوا عليه في بدايتهم.

ومن التمثيل نجد ما عرضه الرافعي في مقاله "الميراث العربي" عن أبو خالد النميري فقال: ((كان أبو خالد النميري في القرن الثالث للهجرة، وكان ينتحل الأعرابية ويتجافى في ألفاظه ويتبادى في كلامه ويذهب المذاهب المنكرة في مضغ الكلام والتشدق به، ليتحقق أنّه أعرابي وما هو به، وإنّما ولد ونشأ بالبصرة، قالوا؛ فخرج إلى البادية فأقام بها أياما يسيرة ثم رجع إلى البصرة فرأى الميازيب على سطوح الدور فأنكرها وقال: ما هذه الخراطيم التي لا نعرفها في بلادنا ...؟فهذا طرف من العربي يقابله التاريخ في زماننا هذا بطرف آخر من جماعة قد رزقوا اتساعا في الكلام إلى أن يفوت حد العقل أحيانا، ووهبوا طبعًا زائغا في انتحال المدنية الأوروبية إلى ما يتخطى العلل والمعاذير، ورأوا أنفسهم أكبر من دهرهم، ودهرهم أصغر من عقلهم، فتعرف منهم أبا خالد الفرنسي، وأبا خالد الإنجليزي، وغيرهم من أجازوا إلى فرنسا وإنجلترا فأقاموا بهما مدة ثم رجعوا إلى بلادهم ومنبتهم ينكرون الميراث العربي بجملته في لغته وعلومه وآدابه))[3].

(1)مصطفى صادق الرافعي، **تحت راية القرآن**، ص10.

(2) ينظر: المرجع نفسه، ص31.

(3) المرجع نفسه، ص15.

قام الرافعي – رحمه الله – بإعطاء مثال يبيّن حقيقة المجددين، وهو أبو خالد النميري الذي عاش في القرن الثالث الهجري، وأنكر ما كان متواضعًا عليه في وقته ((الميازيب)) وقال هذه خراطيم، وهذا ينطبق على المجددين الذي تأثروا بالغرب وعاشوا فيه حتى إذا عادوا إلى بلادهم نكروا الموروث برمته.

كما نعطي مثالا آخر ذكره في مقاله المعنون بـ: "قال إنّما أوتيته على ((علم)) بل هي فتنة!" إذ قال: ((ومثل طه والقدماء مثل رجلين من أهل المنطق أحدهما قال: هذا اللون أسود فلا يجوز أن يكون أبيض، والآخر قال: كلا بل هذا اللون ليس بأبيض فيجوز أن يكون أسود))[1]. والرافعي هنا أعطى مثالا على كل من دعاة الجديد والمحافظين من خلال رجلين أهل منطق، إذ يتعارضان في اللون الأبيض والأسود.

3. سبب وأهمية تأليف الكتاب:

تحت راية القرآن (المعركة بين القديم والجديد)، للوهلة الأولى يدرك القارئ الغاية من تأليف الكتاب، فالعنوان يحيل إلى صاحبه استمات دفاعا عن الدين الإسلامي الحنيف، ولغة الوحي التي شكلت مدار الصراع بين قطبين متصارعين منذ بزوغ النهضة العربية إلى أن اشتد زمن الرافعي، وهو ما عناه بالمعركة بين القديم والجديد.

فالقطب الأوّل، تيار تراثي بين من لفظه، يسعى إلى المحافظة على الأصول المتوارثة عن النقاد والنحاة العرب في رسم اللغة العربية نثرًا وشعرًا، أمّا القطب الثاني، الذي يعنى بالمجددين، فقد حاول القفز على الموروث العربي العتيق، محاولا بناء قواعد أدبية تتوافق مع العصر.

وقد اختصر الرافعي الطريق للقارئ فبين الهدف من الكتاب في الصفحات الأولى منه، فقال بصريح العبارة: ((**نلفت القراء إلى أنّنا في هذا الكتاب إنّما تعمل على إشقاط فكرة خطرة، وإذا هي قامت اليوم بفلان اليوم الذي نعرفه فقد تكون غدا فيمن لا نعرفه**))[2].

(1) مصطفى صادق الرافعي، **تحت راية القرآن**، ص82.

(2) المرجع نفسه، ص05.

والفكرة الخطرة تتكلم بلسان صاحبها "طه حسين" الذي عناه بلفظ فلان، الذي وصل بطرحه إلى حد الطعن في الشعر الجاهلي، والتشكيك في مدى وجوده من عدمه.

وقد أشار سعيد العريان في هذا الكلام في معرض حديثه عن الغاية من تأليف الكتاب، من خلال كتابه الموسوم بـ: "حياة الرافعي"، الذي تتبع فيه مختلف محطات مصطفى صادق الرافعي، فيقول: **((على أنّك لا تكاد تبلغ من صفحات هذا الكتاب إلى الصفحة المائة من أربعمائة حتى يخلوا الميدان من كلّ أنصار الجديد إلا رجلا واحدا هو الدكتور طه حسين بيك، ويتوجه إليه بالخطاب والرد في كلّ ما بقي من صفحات الكتاب، فكأنّما أنشأه الرافعي وجمعه كتابا للرد عليه وحده))**[1].

إذا فحجم الجزء المخصص للرد على طه حسين، هو ما جعل سعيد العريان، يحيل الهدف من الكتاب، زيادة على هذا خطورة كتاب الشعر الجاهلي والذي يمس بأهم مصادر اللغة العربية وهو (الشعر الجاهلي)، ويطعن في القرآن الكريم الذي يبين وجود الشعر في الحقبة الجاهلية.

وعليه فطموح الكتاب من طموح صاحبه، وهو ما جعله يكتسي طابعا بالغا من الأهمية، ويكفينا إشارة إلى أهميته ما أورده محمد محمد حسين في كتابه الاتجاهات الوطنية في الأدب المعاصر، حيث يقول: **((ذلك كله هو السّر في تسمية الرافعي كتابه هذا الذي نتحدث عنه "تحت راية القرآن" فالمعركة في نظره هي دفاع عن القرآن وعن الإسلام وهو لا يرجو عما يكتب أن يقنع أحدا من "المجددين" أو "المبددين" كما يسميهم، بالعدول عند مذهبه، فهم لا يضلون كما يقول إلا بعلم على بينة وكل ما يهدف إليه الكتاب هو أن يحذر النّاس من شرهم ويحول دون انتشار العدوى بينهم))**[2].

(1) محمد سعيد العريان، **حياة الرافعي**، ص163.

(2) محمد محمد حسين، **الإتجاهات الوطنية في الأدب المعاصر**، مؤسسة الرسالة، بيروت – لبنان، ج2، ط4، 1984م، ص247.

4. أسلوب الرافعي في الكتاب:

لم يكن أسلوب الرافعي في الكتاب على درجة واحدة فقد مزج بين التهكم تارة واللين تارة أخرى، ولعل تهكم الرافعي في الكتاب يعود إلى رده على مخالفيه من أنصار التجديد، وقد يكون هذا الفعل مبررًا، بناء على فكرة الخصوم ومثال ذلك ما أقرته إحدى الصحف العربية التي تصدر في أمريكا بضرورة تخلي الرافعي عن الجملة القرآنية والحديث الشريف حتى ينال بالغ الإهتمام ويملأ الدهر صخبًا بما يؤلفه فما كان عليه إلا أن خطّ مقالة بعنوان **"الجملة القرآنية"**(*)، فاتحا بذلك ناره تهكما على هذا المطلب.

في حين نهج الرافعي منهج اللين وكله وقار للعلماء وحكمة أهل الرأي الذين يضعون مقومات كاللغة العربية والدين الإسلامي ضمن إهتماماتهم تأليفا ودفاعًا، وقد يبدو من هذا أن الرافعي وضع آراء مخالفيه أمام مقصلة هؤلاء بإعتبار أنّه استمات دفاعًا عما تبناه أهل التجديد أنّه قابل للتشكيك والطعن.

وقد بيّن محمد سعيد العريان هذا الكلام في معرض حديثه عن كتاب "تحت راية القرآن"، فأورد قائلا: **((وليس الكتاب على إستواء واحد في أسلوبه؛ ففي المقالات الأولىمنه تقرأ رأي الرافعي هادئا متزنا فيه وقار للعلماء وحكمة أهل الرأي ورحابة صدر الناقد البريء: فإذا وصلت من الكتاب إلى قدر ما وبيانا غير الذي كنت ترى، وطالعتك من صفحات الكتاب صورة جهمة للرافعي الثائر المغيط المحنق))**(1).

وعيله فقد إستلان الرافعي موضع اللين وتهكم موضع التهكم، وهو ما عكس طابعه التراثي من خلال سخطه على دعاة التجديد.

(*) **الجملة القرآنية**: وهي المقالة الثالثة من الكتاب، ص18.

(1) محمد سعيد العريان، **حياة الرافعي**، ص163.

ثانيا: قضية القديم والجديد

تعد قضية القديم والجديد من أعقد القضايا التي طرحت في النقد العربي الحديث، وهي مسألة بين قطبين متصارعين مختلفين في المبادئ والأسس، فأمّا القديم فيرى ضرورة المحافظة على الموروث العربي شعرًا ونثرًا واعتباره السبيل الوحيد المحدد لطبيعة الحياة الأدبية في العصر الحديث، وأما الجديد فيذهب أبعد من ذلك، ويرى ضرورة تقصي سبلا جديدة تتوافق مع الحياة المعاصرة من منطلق أن لكلّ حقبة زمنية خصوصياتها ما يفرض إلزاما البحث عن طبيعة جديدة للأدب العربي.

وعليه فقد كان الرافعي من النقاد البارزين الذين انصبوا على مناقشة هذا الطرح وإبراز حقيقة ما يتبناه من خلال عرض ونقد معتقدات المذهب الجديد، فنشر مقالتين في هذا الكتاب اختصهما بمعالجة هذا الطرح والرد على مخالفيه، وهما: "المذهبان القديم والجديد"، و"الميراث العربي".

1. المذهبان القديم والجديد:

يبدأ "الرافعي" كتابه بمقالة جمعت بين قطبين متصارعين (القديم والجديد)، وجدير بنا أن نشير إلى أنّ هذا الكتاب ما هو إلا إمتداد لهذا الصراع الذي احتدم أيّما احتدام زمن الرافعي، ويكفينا أن نشير إلى العنوان الثانوي للكتاب الموسوم: "المعركة بين القديم والجديد" كبرهان على ما نقول.

وما يفتأ القارئ أن يفتح الكتاب حتى يجد أن مقالته الأولى تتحدث عن طبيعة هذه المعركة، ولو تمعن جيدا (أي القارئ) لوجد أنّ الرافعي –وبغض النظر عن أن المقالة كانت ردًا على شخص واحد –وكأنّه يقدم تفصيلا جامعا مانعا حول حقيقة المذهبين قبل أن يقدمه لكل أنصار التجديد قاطبة.

استهل الرافعي مقالته مبينا السبب الذي دفعه إلى كتابتها، فقال: ((**كتب أحد الكتاب فصلا في مجلة "الهلال الغراء" نحلنا فيه زعامة المذهب القديم وسمي جديدا وسمي قديما واحتج ونازع فرددنا عليه بهذا الفصل**))[1].

فهجومه على كلّ ما هو قديم وجعله لا يستقيم مع معطيات الحياة الحاضرة هو ما جعل الرافعي يرد عليه.

فقد زعم هذا الكاتب أن ما يقوم به التراثيون على أيامه من احتذائهم لأساليب العرب السالفة شعرا وبيانا، هو ما يعرف بالمذهب القديم، ووطنية أدبية حملها عقل باطن يخلط الدين والقومية والأدب العربي إلى أن قال: ((وإن أهل المذهب القديم يهملون العلم، لأنّ العلوم تتعارض ومعتقدات العرب))[2]، ومن خلال هذا القول توصل "الرافعي" إلى أنّ المقصود من لفظة العرب هم المسلمون لا غيرهم، وأنّ الجاهلية قد جار عليها الزمان فلا هي أهل للبحث والتقصي، ولا هي قادرة على مجاراة العلوم في زماننا، فقال: ((وظاهر

(1) مصطفى صادق الرافعي، **تحت راية القرآن**، ص09.

(2) المرجع نفسه، ص09.

أنّه يعني بالعرب المسلمين لا غيرهم، فإنّ الجاهلية أصبحت من أكاذيب التاريخ وبليت معتقداتها بلى أدخلها في قبور أهلها))[1].

من هنا عكف الرافعي إلى ضبط تصور لكلا المذهبين، فاعتبر أنّ المذهب القديم هو أن تظل اللغة لغة العرب السابقة في أصولها وفروعها، وأن تبقى حية حاضرة ما دام أهلها حاضرون وعلى قدر بها، وأن يكون الدين باقيا محفوظا كما نزل به الوحي لا يزيغنا عند العلم والرأي، وأن يكون حرصنا على اللغة هو ذاته الحرص على الدين، ولا تقوم لنا قائمة إلا بهما. فأورد قائلا: ((فالمذهب القديم إذن هو أن تكون اللغة لا تزال لغة العرب في أصولها وفروعها، وأن تكون هذه الأسفار القديمة التي تحويها لا تزال حية تنزل كلّ منزلة زمن منزلة أمة من العرب الفصحاء، وأن يكون الدين العربي لا يزال هو كأنّما نزل به الوحي أمس لا يفتتنا فيهم علم ولا رأي، وأن يأتي الحرص على اللغة من جهة الحرص على الدين، إذ لا يزال منهما شيء قائم كالأساس والبناء لا منفعة فيهما معا إلا بقيامهما معا))[2]، ومن خلال هذا التعريف يتضح لنا أن المذهب القديم عند الرافعي يقوم على ضابطين أساسيين هما اللغة والدين، فالأول ما كان على طريقة العرب السابقة فيه، أمّا الثاني فيبقى محفوظا كما نزل به الوحي على أن يجمع الاهتمام كلاهما في دائرة واحدة.

في حين كان المذهب الجديد ما هو إلا عملية انسلاخ من الأصل العربي وإهمال للقومية التاريخية، لأنّهما ليسا أوربيتين، وأن حقيقة التجديد هي تجديد في الأصل والفرع لا تجديدا في اللغة من حيث التعبير بما يتوافق والحياة الحاضرة، بمعنى أن هذا المذهب قد وضع أصل العرب وانتمائهم على المحك أمام ما أنتجته الضفة المقابلة لنا من البحر الأبيض المتوسط بدليل أن التجديد كان موجودا عند العرب سابقا، فالشعر الجاهلي ليس كالشعر العباسي مثلا، فقال الرافعي: ((لو تأمل أصحابنا تاريخ هذه اللغة وأدابها لرأوا في كلّ عصر من عصورها شيئا يسمى مذهبا جديدا، ولكن لم نجد أحدا سماه كذلك ولا بناه

(1)مصطفى صادق الرافعي، **تحت راية القرآن**، ص09.

(2) المرجع نفسه، ص09.

على أنّه شيء بنفسه إلا في هذه الأيام الأخيرة. ثم لم نجده إلا في هؤلاء الذين غلبت عليهم صناعة الترجمة))[1].

وقد أرجع الرافعي العلة في ظهور هذا المذهب إلى ضعف أصحابه في اللغة الأصل والقوة في اللغة المستوردة من الغرب، فمالت بهم القرائح إلى إحداهما على حساب الأخرى، فكان مكمن ضعفهم في اللغة العربية وأصلها، وكان عزهم وقوتهم في اللغات الأجنبية على اختلافها وتنوعها، فاستمسك بالثانية، وصارت تميل به إلى نوع من العصبية للأدب الأجنبي وأهله ما جعل ذوقه وأسلوبه في التفسير يحتكم إلى مذهب معين وهو ما يعرف بالتجديد، فقال: ((العلّة في الحقيقة لا ترجع إلى مذهب قديم أو جديد، بل إلى الضعف في لغة والقوة في أخرى، وأن صاحب المذهب الجديد أخذ بالحزم في واحدة وبالتضييع في الثانية))[2].

وما دام أنّ الرافعي يرفض رفضا قاطعا هذا النوع من التجديد، الذي احتكم فيه أصحابه إلى المساس بالأصل العربي الموجود في ثنايا الفؤاد، والساري في دماء أي عربي من خلال التغيير في جوهر اللغة، وتكييف الدين وفق معطيات غربية، تشبع بها أنصار التجديد، إلا أنّه أبدى قابلية نحو التجديد الذي لا يمس بمكانة وقيمة اللغة والدين، بل اعتبر أن التجديد هو حقيقة للحياة وهو أهم ما تتميز به النفس البشرية، على أن يبقى محافظا على ما يجب المحافظة عليه كقيم ومبادئ لا يحيد عليها إلا هالك، فقال: ((إن أرادوا بالمذهب الجديد العلم والتحقيق وتمحيص الرأي والإبداع في المعنى، على أن تبقى اللغة قائمة على أصولها، على أن يكون التفنن ((طرائق)) كما قبل في ابتداع القاضي الفاضل الذي يسموه الطريقة التفاضلية، لا مذاهب يراد بها أتباعه ومحو، فإننا لا ندفع شيئا من هذا ولا ننازع فيه))[3].

فيبدو من هذا أن التجديد الذي يقبل به الرافعي هو تجديد مكيف على طريقنا، لا على طريقة من تشبع بثقافة الغرب فبنى تجديده على المساس بما هو ثابت عندنا، وأنّ

(1) مصطفى صادق الرافعي، **تحت راية القرآن**، ص09.

(2) المرجع نفسه، ص10.

(3) المرجع نفسه، ص11.

الأمور تسمى بمسمياتها فاعتقاد هؤلاء هو اعتقاد محو وإثبات، فالأوّل هدم للأصول والفروع التي يقوم عليها الهوية العربية، والثاني هو تجسيد لمعتقد تتحكم فيه الفلسفة الغربية والأهواء.

وعليه فإنّ الرافعي قد وضع الأمور في نصابها على حسب ما يراه ويعتقده، فبيّن في هذه المقالة حقيقة القديم وأنصاره، والتجديد وأصحابه، مبديا رفضا لا رجعة فيه إبراز فكر أصحاب المذهب الجديد ومقدما خارطة طريق لنمط التجديد الذي يقبل به.

2. الميراث العربي:

يكمل "الرافعي" حملته على "أنصار التجديد"، ويخط مقالا آخر يندرج ضمن إستراتيجياته في طرح المذهب الجديد وتناوله ثم نقده بناء على رؤى يراها مناسبة ومقدما بذلك تعديلات ومعطيات لهذا المذهب حتى يرقى إلى تطلعات معارضيه عموما، أو بما يرضيه هو على الأقل على اعتباره طرفا في هذا الصراع المحتدم، وعلى اعتبار أن الكتاب في حقيقته هو مجموعة من المقالات التي كانت متناثرة في مختلف الصحف والمجلات، إلى أن انتهى بها الحال بين دفتين، فإنّ "الميراث العربي" مقال نشر في مجلة "الزهراء الغراء"، تناول فيه الرافعي نظرة المتشبعين بالثقافة الغربية إلى التراث العربي، وكيف ساهم التماهي مع الفكر الأوروبي في تحوير معتقداتهم تجاه القيم والمبادئ العربية.

يبدأ الرافعي مقاله باستحضار قصة من التراث العربي ممثلة في شخصية خالد النميري، وكيف كان يدّعي إلى الأعرابية من خلال التفنن في أساليب العربية ليظهر أنّه أعرابي وما هو بذلك، فقال: ((كان أبو خالد النميري في القرن الثالث للهجرة، وكان ينتحل الأعرابية ويتجافى في ألفاظه، ويتبادى في كلامه، ويذهب المذاهب المنكرة في مضغ الكلام والتشذق به ليحقق أنّه أعرابي وما هو به))[1].

ثمّ قام بإسقاط هذه القصة على الذين ينتحلون الحياة المدنية الأوروبية، فوجد وكأن لسان حالها ينطبق عليهم، فبعد أن تشبعوا بنمط تلك الحياة، سعوا ليظهروا للعامة وكأنّهم

(1) مصطفى صادق الرافعي، **تحت راية القرآن**، ص15.

أوروبيون من جهة، وناكرين للميراث العربي بجملته في لغته وعلومه وآدابه من جهة أخرى. وهو ما جعل "الرافعي" يتهكم على ما هم فيه، فأطلق لفظة أبا "خالد الفرنسي" على الذّي يدّعي الثقافة الفرنسية، ولفظة أبا خالد الإنجليزي على الذي يدعي الثقافة الإنجليزية، فقال: ((فتعرف منهم أبا خالد الفرنسي، وأبا خالد الإنجليزي وغيرهم من أجازوا إلى فرنسا وانجلترا، فأقاموا بها مدة ثم رجعوا إلى بلادهم ومنبتهم ينكرون الميراث العربي)).

ولاحظ "الرافعي" أن مثل هؤلاء وفي معرض إصلاحهم لما يجب إصلاحه حسب زعمهم في الآداب العربية بما يتوافق ورهانات العصر الذي يعيشون فيه، أنّهم ينقسمون إلى قسمين، فأمّا القسم الأوّل فهمهم أن تسلم لغتهم من اللحن والركاكة والضعف فلا ينكر عليهم ذلك، في حين تكون لغتهم تسبح في أرقى درجات العصرنة، أمّا القسم الثاني فيذهب أبعد من ذلك، فيثور على الآداب العربية وأساليبها ويدمغها بالأكاذيب حتى يبلغ مساعي ثورته مبلغها، فقال: ((ومنهم كتاب يكتبون بالعربية ويرتزقون منها، وأدباء يبحثون في آدابها وفنونها، وكلّهم مجيد محسن إلا حيث يكتب كاتبهم في إصلاح الكتابة ويبحث باحثهم في إصلاح الأدب، فهنالك ترى أكثرهم الأوّل أن تسلم عاميته فلا ينكر عليه ضعف ولا لحن ولا يهجن له أسلوب ولا عبارة وأن يكون له كل ما يعرض له من النقص معتبرا من الكمال العصري، وترى هم الثاني أن يكره الآداب العربية على أساليب غيرها ويقتسرها جرا وتلفيقا وتلزيقا ويبسط فيها المعاريض الكلامية))[1].

ثم عكف على التأصيل للميراث العربي ومن أين جاء، وقد يحمل هذا إشارة من "الرافعي" إلى خصومه جاءت على شكل مجموعة من النقاط أولها أن لهذا التراث مرجعياته الخاصة به والتي شكلت القبائل العربية الرعيل الأوّل له، وثانيها أنّ له خصوصيته التي تجعل منه تراثا قائما بذاته يكمل بعضه بعضًا في صورة تجعل منه في غنًى عن المعتقدات والآداب الأجنبية وثالثها أن هذا التأصيل يحمل ردًا ضمنيا على خصمه الأوّل "طه حسين" الذي شكك في حقيقة الشعر الجاهلي من منطلق أنّ الرافعي تطرق إلى الشعر الجاهلي ومدى مساهمته في بناء هذا التراث، فقال: ((لقد كانت القبائل

(1)مصطفى صادق الرافعي، **تحت راية القرآن**، ص15.

العربية مادة هذه اللغة وبسبب اتساعها واستفاضتها وكان فحول الشعراء من الجاهلية كأن كلّ واحد منهم قبيلة في التفنن والإبداع مجازا واستعارة وبديعا))[1].

ولتشديده على عنصر الدين أيضا يبين كيف ساهم القرآن الكريم في التأثير على طبيعة الأدب العربي في ضبطه لأساليبه وموضوعاته فقال: ((ثمّ جاء القرآن الكريم فكان الغاية كلها، ثم تتابع الشعراء والكتاب والأدباء فمن لم يزد منهم على الموجود لم ينقص منه))[2].

ومن معرض تأصيله للتراث العربي بيّن الرّافعي أن الآداب العربية قد خضعت لنوع من التجديد الذي يختلف في طبيعته عن التجديد الذي نادى به خصومه على أيامه، وقد أطلق اسم القبائل الحديثة على الحقبة التاريخية التي شهدت ذلك النوع من التجديد، وهذا ما يجعلنا نقف مرة أخرى على حقيقة التجديد الذي يرضى به، فهي عصرنة تمس تعبيرات اللغة والقيم والمبادئ فقال: ((ثم جاء أدباء المترجمين وفيهم من جمع البراعة من أطرافها فكانوا هم "القبائل الحديثة" في معاني اللغة وفنونها، وكان مذهبهم في كلّ ما ترجموه وما اقتبسوه هذه الكلمة التي قالها العتابي: ((اللغة لنا والمعاني لهم))[3].

فاعتبر الرافعي أن خصومه لو نادوا بمثل هذا التجديد لما عارضهم أحد على اعتباره يحفظ اللغة وأصولها وفروعها، فقال: ((فلو صنعت القبائل الحديثة من أبي خالد الفرنسي إلى أبي خالد الإنجليزي هذا الصنيع لكان رأس أمرهم الحرص على اللّغة، ثم إن شدّوا عليها أيديهم فسيحرصون على كتبها التي هي مادتها (...) فإذا انتهينا إلى هذا لم يبق من موضوع يخالفون عليه))[4].

وبعد كلّ هذا التأصيل عاتب "الرافعي" خصومه على محاولة انسلاخهم من انتمائهم العربي، والسعي خلف انتماء يتخبط بفعل تأثير التيار الفلسفي عليه، وتشبعه بمنطق اللّذة على حساب القيم والمبادئ التي تشكل اللغة أحد أهم مقوماتها، وقد كان هذا العتاب

(1) المرجع نفسه، ص16.

(2) مصطفى صادق الرافعي، **تحت راية القرآن**، ص16.

(3) المرجع نفسه، ص16.

(4) المرجع نفسه، ص16 – 17.

ممثلا في حقيقة تباهي كلّ أمّة في أوروبا بلغتها، فقال "الرافعي": ((ألا يرى أبو خالد الإنجليزي وأبو خالد الفرنسي كيف تباهي كلّ أمّة في أوروبا بلغتها، وكيف يفخر الفرنسيون بلسانهم حتى إنّهم ليجعلونه أوّل ما يعقدون عليه الخنصر إذا عدوا مفاخرهم ومآثرهم))[1].

وعليه فقد بين الرافعي في هذا المقال المعنون بـ"الميراث العربي"، طبيعة النكران لكل ما هو عربي، الذي يسود أنصار التجديد، ومحاولة انتحالهم للنمط الغربي الذي طغى على عقولهم، مقسما إيّاهم إلى طائفتين حين استعمالهم للعربية، ومأصلا للميراث العربي مبينا لخصوصيته، ومعاتبا إيّاهم على معتقداتهم.

3. طه حسين في ميزان الرافعي:

نأتي هنا إلى الغاية من تأليف الكتاب، ونقف على أحد أهم المعارك الأدبية والنقدية في النقد الأدبي الحديث، والتي دار رحاها بين ""مصطفى صادق الرافعي" و"طه حسين"[*]، وبتعبير أكثر شمولية أنّها معركة بين القديم والجديد، وجدير بنا أن نشير أنّها ما كانت لتكون لولا أن "طه" ألّف كتابه "الأدب الجاهلي" الذي أثار ضجة كبيرة بعد صدوره ما جعل "الرافعي" يثور على ما جاء فيه.

و"الأدب الجاهلي" كتاب ألفه صاحبه، وطرح من خلاله نظرته للشعر الجاهلي معتمدا في ذلك على ((التصور الديكارتي))[**] القائم على مبدأ الشك مشككا بذلك في حقيقة وجود نوع من أنواع الحياة الأدبية في ذلك العصر، ومعارضا لجميع الأدلة والإحتمالات الدالة على وجودها في تلك الحقبة، والقارئ لهذا الكتاب يجد أن صاحبه تجرد من أي أساس سواء أكان دينيا أو تاريخيا في الطرح الذي تبناه.

---

(1)مصطفى صادق الرافعي، **تحت راية القرآن**، ص17.

(*) طه حسين (1889م – 1973م) أديب وناقد مصري، لقب بعميد الأدب، عاد إلى مصر ليعمل أستاذا للتاريخ ثم أستاذًا للغة العربية. كما عمل عميدًا لكلية الآداب ثمّ مديرا للجامعة الإسكندرية، ثمّ وزيرًا للمعارف المصرية، من أشهر كتبه: في "الشعر الجاهلي" 1926، و"مستقبل الثقافة في مصر" 1938م.

(**) التصور الديكارتي: هو تصور أحدثه الفيلسوف الفرنسي رينيه ديكارت القائم على مبدأ الشك في كل شيء وصولاً، إلى حقيقة ثابتة.

وعليه فقد مثّل كتاب "تحت راية القرآن" أحد أهم المؤلفات التي اشتغلت على رد مضمون الكتاب ومؤلفه من خلال العديد من المقالات، والتي كتبها الرافعي في العديد من الصحف والمجلات، والتي بلغ بعضها قبة البرلمان المصري ما يؤكد هوة الصراع الذي حصل بين الناقدين.

ومن منطلق كل هذا وفي إطار تتبعنا لهذه المعركة من خلال هذا الكتاب القيد الدراسة فقد عملنا على اختيار أهم المقالات التي ردّ فيها "الرافعي" على "طه حسين"، فاقتصرنا على مقالتين هما: "أسلوب طه حسين" و"طه حسين وما يقرره"، فجمعنا في هذا الإختيار بين ردّ "الرافعي" على أسلوب "طه حسين"، وكذا الرد على ما توصل إليه فيما يتعلق بالشعر الجاهلي.

1.3- أسلوب طه حسين:

تناول الرافعي في هذا المقال أسلوب "طه حسين" عموما مثيرا بذلك إلى أهم المزالق والعيوب التي طغت على أسلوبه حسب وجهة نظره، ومؤكدا على حقيقة تجديد خصومه والأثر السلبي البالغ الذي خلفه على قرائح أصحابه حين استعمالهم للغة العربية، وهو ما جعل منه أشد خطورة عند تبنيه.

أشار الرافعي في مطلع مقاله هذا أنّ "طه حسين" لم يكن الوحيد الذي فرد بانتحال الجديد، ولم يكن السبّاق إلى تبنيه والدعوة إليه بل إنّ صفة السبق كانت لآخرين قبله، وهي ملاحظة عامة ذكّر بها "الرافعي" خصمه "طه حسين" إذ قال: ((لم ينفرد الأستاذ "طه حسين" بانتحال الجديد والتجديد ولا هو أوّل من زعم ذلك أو حامى عنه أو كابر عليه، فقد سبقه آخرون))[1].

في حين كان "طه حسين" على حد تعبير "الرافعي" أوّل من اجترأ على الأدب العربي بالمسخ والتكلف، وقائلا فيه بالرأي الأحمق فقال: ((لكنّه أوّل من اجترأ على الأدب العربي بالمسخ والتكلف، وقال فيه بالرأي الأحمق وأداره على الوهم البعيد))[2].

(1)مصطفى صادق الرافعي، **تحت راية القرآن**، ص63.

(2) المرجع نفسه، ص63.

وكلامه هذا قد يحمل على أنّ "طه حسين" كان سبّاقا بالإدعاء على الأدب العربي حينما ألّف كتابه "الشعر الجاهلي"، فبالقياس مع أنصاره ممن حملوا لواء التجديد، فمنهم من كان أوّل من دعا إليه لكن لم تبلغ به الجرأة إلى التشكيك في الأدب الجاهلي مثل ما فعل هو.

ومثلما كان "طه حسين" أوّل من تجرأ على اللغة العربية وآدابها كان أيضا أوّل من استعمل الركاكة في الأسلوب ومضغ اللغة العربية والنزول بها إلى أحط المنازل، وهو ما أشار إليه الرافعي في معرض حديثه.

وهذا يحيلنا إلى الحقيقة التي توصل إليها في تتبعه لعيوب التجديد وأنصاره، "فالرافعي" أقرّ أن التجريد يجر صاحبه إلى القوة في اللغة والضعف في أخرى، وهو ما يبدو جليا في كلامه على أسلوب طه حسين حين قال: ((ثمّ كان أوّل من استعمل الركاكة في أسلوب التكرار كأنّه يمضغ الكلام مضغًا، فنزل به إلى أحط منازله، وابتلى العربية منه بالمكروه الذي لا صبر فيه))[1].

ثمّ انتقد "الرافعي" إصرار "طه حسين" على هذا الأسلوب، ورفض الأخير أن يرد عليه أجد جراء الطريقة التي تبناها في الكتابة، وكأنّه يرى أنّها الأنسب اليوم والسبيل الأمثل للتعبير ما يجعلنا في غنى عن اللغة المبنية على قواعد النحو والصرف والمتوارثة جيلا بعد جيل، فقال: ((ولم نعرف غير هذا الأستاذ أحدًا يرضى لنفسه أن يمتدح بالعيب، ويستحسن بالقبح، ويرفع المنازعة مما لا نزاع فيه، فكان يزعم أنّه لا ينساغ الأديب أن يرد عليه هذه الطريقة))[2].

ثمّ بيّن "الرافعي" أن رسالة "طه حسين" إزاء هذا الأسلوب قد وصلت، فهو يرى بأنّه يدعو إلى نمط جديد في الكتابة من خلال الإنتقال إلى اساليب إنشائية جديدة، مبررا هذه الدعوة على أنّها حقيقة الفكر الإنساني القائم على التطور، وأنّه آن الأوان لهذه المسلمة أن يتم التسليم بها فنغير في طريقة التعبير ما يجب تغييره بحسب ما تقتضيه ضرورة العلم والإتساع فيه قال –رحمه الله– : ((عرفنا أنّك تدعوا إلى نمط جديد في الكتابة تنتقل

(1)مصطفى صادق الرافعي، **تحت راية القرآن**، ص63.

(2) المرجع نفسه، ص63.

به أساليب الإنشاء أو تتغير به رسوم هذه الأساليب أو تعفو طرائق هذه الرسوم، وإن هذا مما تبعث عليه سنة التطور (...) وتقتضيه ضرورة العلم والاتساع فيه))[1].

وعليه فقد حكم "الرافعي" على أسلوب "طه حسين" بالركاكة ومضغ اللغة بصورة تبدو متعمدة سعيا منه في فرض طريقة جديدة للتعبير، وذلك في سبيل منه للتخلص من حيّز الكتابة التراثية التي شدد عليها الرافعي حين بيان أسلوبه.

2.3- طه حسين وما يقرره:

سعى "الرافعي" في هذه المقالة إلى الرد على "طه حسين" فيما توصل إليه إثر محاضرة ألقاها، حيث تحدث فيها عن تأثير الوثنية واليهودية على الشعر العربي، فركز على أهم نتيجتين توصل إليهما يقول الرافعي: ((تفضل الأستاذ الدكتور "طه حسين" بإلقاء محاضرته على تأثير الوثنية واليهودية والنصرانية على الشعر العربي وانتهى إلى نتيجتين:

- أن لا تأثير للوثنية واليهودية والنصرانية على الشعر العربي والجاهلي منه على الأخص.
- أنّ ما وجد من الشعر مشتملا على مبادئ الوثنية أو اليهودية أو النصرانية إنّما هو مدسوس على من نسب إليهم، وإنه لم يكن موجودا في عصرهم))[2].

ثمّ عرض "الرافعي" الأسباب التي أرجعها "طه حسين" لظهور هاتين النتيجتين فقال: ((وأرجع هاتين النتيجتين إلى ما يأتي:

- إنّ الحكام المسلمين منعوا تداول كل شعر اشتمل على مبادئ هذه الديانات مما يخالف سنن الإسلام ومبادئه ومحوه جميعًا.
- إن أهل هذه الملل بعد سكون حركة الفتوحات (...) قد دفعهم تعصبهم لشعراء ملتهم السابقين إلى التقول عليهم بما لم يقولوه))[3].

---

(1)مصطفى صادق الرافعي، **تحت راية القرآن**، ص63.

(2) المرجع نفسه، ص53.

(3) ينظر: المرجع نفسه، ص53.

يشرع الرافعي فيما بعد للتعليق على ما تفضل به "طه حسين"، فاعتبر أن ما توصل إليه إنّما هو اتهام باطل تمخض من خلاله رد جميع الأشعار التي قيلت قبل الإسلام، وسبب ذلك أنّ الحكام المسلمين قاموا بمحو جميع الأشعار التي اختلطت مضامينها مع معتقدات تتعارض مع الدين الإسلامي الحنيف.

ولقد قدم "الرافعي" مجموعة من الأسئلة طالب فيها "حسين طه" بالإجابة عنها سعيا منه لدحض ما توصل إليه يقول: ((وإذا كان الأمر كذلك فليتفضل علينا الأستاذ ويقول لنا:

- مَنْ مِنْ ملوك المسلمين وحكامهم هو الذي أمر بوأد الشعر الوثني واليهودي والنصراني ومحوه؟
- مَنْ مِنْ أعوان هؤلاء الذي تولى ذلك؟
- وكيف كانت طريقة المحو؟
- وهل كتب لها النجاح في كل بلاد الإسلام؟))[1].

ومن خلال هذه الأسئلة نلاحظ رفض "الرافعي" طرح النتائج المبنية للمجهول، والتي تحيل إلى الإفتراء والإتهام والحط من الحياة الجاهلية بمطالبته سرد أسماء هؤلاء الحكام المسلمين وطريقة المحو دليل على وجود ثغرة في النتائج التي توصل إليها "طه حسين" حسب وجهة نظره – رحمه الله.

وعلى ما تقدم فقد دعم "الرافعي" رأيه بأدلة عقلية ونقلية ليؤكد بطلان ما تفضل به "حسين"، فمن العقلية أنّ الشعر كان يتناقل بالرواية، وأنّه لا سبيل للحكام المسلمين أن يقوموا بمحو هذه الأشعار من أفواه الرواة إلا ما قد دوّن فهذا مقدور عليه يقول: ((وهنا نستلفت حضرته إلى أنّ الشعر كان يتناقل بالرواية وتعيه الصدور الحفاظ، وأن هؤلاء الحفاظ كانوا على ما وصل إليه علمنا في أكثرية ممن يعرفون القراءة والكتابة، وأنّه كان

(1) مصطفى صادق الرافعي، **تحت راية القرآن**، ص53.

لحاكم أيا كان أن يمحوا ما حوته بطون الكتب فكيف السبيل له أن يذهب بما وعته صدور الحفاظ من أهل هاته الملل وأن يعقل ألسنتهم عن أن ينقلوا إلى أهل ملتهم))[1].

ومن أدلته النقلية أنّ الدين الإسلامي يحث على نشر العلم فيستحيل عقلا أن يعمل على دثر آثار شعراء هاته الديانات لمجرد مخالفة مبادئهم لمبادئه، فاستشهد بقوله تعالى: ((لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ ٦))[2]، مؤكدًا على أنّ المسلمين على فهم تام لهذا المبدأ فهم يقرون بالقصيدة الجاهلية على أنّها قيلت دون تبني مضامينها مما يدحض فرضية محو حكام المسلمين لأشعار ما قبل الإسلام.

كما يشير الرافعي إلى المؤلفات والمخطوطات التي اختصت بجمع تلك الأشعار وما محلها عند "طه حسين"، فهذه الكتب والمصنفات عملت على تصنيف تلك القصائد وذكر مناسباتها وأسباب مقالها، وهذا يطرح تساؤل آخر على نتائجه، وهو كيف انتهت تلك الأشعار عند المصنفين؟!، وكيف عمل حكام المسلمين على محوها؟!، يقول: ((والأبلغ من ذلك تلك القصائد الكبيرة التي تضمنتها مجموعات الأدب الكبرى والطبقات الوافية من كتبه المعتبرة، كالأغاني والأمالي والعقد الفريد وغيرها، مما هو صريح في مسائل الملامسة والغزل (...) وبالأخص في خروجها على آداب الدين ومبادئه وهي مع ذلك لم يمتنع تناولها ولا أمكن توقيف تيار تسربها(..))[3].

وفي نفس الوقت إذا حكمنا على وصول هذه الأشعار بسبب تسامح المسلمين أو بسبب استحالة عملية الوأد والمحو، فالنتيجة المنطقية لذلك واحدة وهي استحالة رد الأشعار الجاهلية بسبب أدلة واهية لا أصل لها.

إذن عمل الرافعي في هذا المقال على رد مزاعم "طه حسين" الذي اعتبر أن لا وجود للشعر الجاهلي بناء على اعتبارات – حسب الرافعي – أنها واقعية، وحسبنا أن نشير إلى أنّ هذه القضية التي طرحت كانت السبب في صراع هذين الناقدين.

(1) المرجع نفسه، ص54.

(2) سورة الكافرون، الآية 06.

(3) ينظر: مصطفى صادق الرافعي، **تحت راية القرآن**، ص55.

4. الرافعي في ميزان النقد:

على الرغم ما احتذاه الرافعي في كتاب "تحت راية القرآن" وطرحه للعديد من القضايا التي شكلت مدار الصراع الذي قام بين القديم والجديد في عصره، والذي شكّل هذاالكتاب إمتداد له، إلا أن نزعة الرافعي تجاه تلك الموضوعات شابها العديد من الهفوات الممزوجة بالغلو من جهة، والحكم المطلق المعمم، دون الأخذ بعين الإعتبار مجموعة الإستثناءات التي قد تطرأ على الموضوع المناقش.

فأمّا الغلو فيتمثل في:

مغالاته في تعريفه للمذهب الجديد، حيث اعتبر أنّه ما هو إلاّ عملية انسلاخ من الأصل العربي، وهو ما يبين رفضه القاطع لتيار التجديد على أيامه، ولكن اعتباره عملية انسلاخ بمجملها ليس بالضرورة، فإنّ توفر الأمر في ناقد فليس بالضرورة أن يتوفر في ناقد آخر، فالنقاد المجددون ليسوا كلّهم على سواء، وكلامه أيضا يشير أن لا فائدة من هذا المذهب وهو ما يجعل من الأمر مبالغا فيه.

وأمّا الحكم المطلق المعمم فيتمثل في:

أنّه اعتبر المذهب الجديد يحيل إلى القوة في لغة والضعف في أخرى؛ والمقصود بكلامه ضعف خصومه في استعمالهم للغة العربية، وهذا وإن وجد، فهو لا يمنع من وجود مجموعة من النقاد شكلوا استثناء لهذه الخاصية بحيث كانت لغتهم العربية في أرقى صورها.

أمّا فيما يخص "طه حسين"، فقد غلب على الرافعي نزعته الثائرة عليه، ما دفعه للحكم على أسلوبه بالركاكة والضعف في حين يكاد يجمع الكثير من النّقاد والباحثين على قوة أسلوب طه حسين وهو ما جعلهم يصفونه بعميد الأدب العربي، بغض النظر عمّا طرحه في كتابه الشعر الجاهلي.

وما ينبغي الإشارة إليه، أنّه على الرغم من الطبيعة التراثية للرافعي، فلا يمكن أن يندرج التجديد عنده ضمن المآخذ التي قد تسجل في حقه، فتجديده كان مكيفا مع التراث

العربي وهو ذاته الذي طرحه لخصومه حتى لا يعارضهم أحد، فالرافعي في حد ذاته أقر بالتجديد واعتبره صفة انسانية لابد منها على اعتبار أنّ الفكر الإنساني يتطور، ما شكل فرقا بين تجديده وتجديد معارضيه.

الـــخاتمة

الخاتمة

وفي ختام هذا البحث توصلنا إلى مجموعة من النتائج أهمها:

1. شمولية النقد واستحالة حصره ضمن حيّز معين.
2. تطور النقد من الذوق إلى التعقيد والتأصيل وفق العصور الأربعة.
3. تياران الأول مثله المرصفي والمويلحي يدعو إلى إحياء التراث، ومعرفة الأصول من أجل بناء ذوق سليم كما كان الأولون، والثاني مثله العقاد ونعيمة يدعوا إلى النصوص الحداثية المبنية على اتصال الثقافات الأجنبية مع التجديد في الأذواق وفق التأثر.
4. اختلفت معركة الرافعي مع العقاد وطه حسين، فكانت مع العقاد معركة أسلوب في حين مع حسين كانت معركة منهج.
5. الرافعي وإن أبدى رأيه في النقد فإنّه قد شابه المرصفي والقدماء في بناء الذوق الصحيح.
6. "تحت راية القرآن" مجموعة مقالات جمعت بين دفتي كتاب مثلت النقد في حقبة برز فيها قطبان مختلفان في التوجه وفي الآراء.
7. سبب تأليف الرافعي لهذا الكتاب مرده ما ألفه "طه حسين" لكتابه "الشعر الجاهلي" الذي شكك فيه وعاج طعنا في الأدب الجاهلي.
8. اتضح أن أسلوب الرافعي القائم على المنهج البياني كان بين الشدة واللين، الشدة على أدعياء التجديد، واللين على التراث الذي يحمل اللغة والدين.
9. اعتبر الرافعي المذهب القديم هو أن تظل اللغة لغة العرب السابقة في أصولها وفروعها، بينما عرف المذهب الجديد على أنّه ما هو إلا عملية انسلاخ عن الأصل.
10. كان التجديد عند الرافعي تجديدا مكيفا مع التراث العربي وألزم خصومه به حتى لا يعارضهم أحد.

10.قسم الرافعي دعاة التجديد إلى قسمين:

أ. من كان همه أن تسلم لغته من الضعف واللحن.

ب. من كان همه الطعن في التراث العربي.

11. اعتبر الرافعي أن التجديد صفة إنسانية لابد منها على اعتبار أن الفكر الإنساني يتطور، إذ شدد على أن لا يمس هذا التطور القيم والمبادئ.

12. يرى الرافعي أن اسلوب طه حسين يتسم بالركاكة والضعف.

13. يرى الرافعي أن اسلوب طه حسين إسقاط شعر ما قبل الإسلام اتهام باطل مؤسس على أدلة مبنية للمجهول.

14. بالغ الرافعي في تعريفه للمذهب الجديد من جهة، وفي الحكم على معارضيه حين استعمالهم للغة العربية من جهة أخرى.

ملحق

الرافعي في سطور (1880 – 1937)

1. حياته:

((هو مصطفى صادق بن عبد الرزاق بن سعيد بن أحمد بن عبد القادر الرافعي))[1].

((ولد سنة 1880 لأسرة لبنانية الأصل من ((طرابلس الشام)) هاجر كثيرا من أفرادها في القرن الماضي إلى مصر، واشتغلوا فيها بالقضاء الشرعي، وكان والد مصطفى رئيسا للمحاكم الشرعية (...) ويسمى عبد الرزاق، وقد عين الشيخ عبد القادر الرافعي مفتيا بعد وفاة الشيخ محمد عبده، إلا أنّ القدر لم يمهله طويلا. فالجو الذي تنفس فيه مصطفى كان جوا إسلاميا عربيا، وقد عني به أبوه، فحفظه القرآن ولقنه تعاليم الدين الحنيف، ثم ألحقه في سنن الثانية عشرة بمدرسة ((دمنهور)) الإبتدائية، حيث كان يتولى عمله القضائي، ونقل إلى ((المنصورة)) فأتم دراسته الإبتدائية هناك، وهو في السابعة عشر من عمره))[2].

وعندما وصل الرافعي إلى سن السابعة عشر أثابته حمى فكان نتاجها حبسة صوتية ثمّ الصمم الخالص في سن الثلاثين قال شوقي ضيف: ((وبمجرد فراغه من الدراسة أصابته حمى عنيفة – لعلها حمى التيفوئيد. (...) حتى انتهى إلى الصمم الخالص في سن الثلاثين، وكانت هذه الصدمة سببا في أنّه لم يتم تعلمه، غير أنّه عكف على الكتب ينهل منها ويفيد معتمدًا على ذكائه))[3].

ورغم ذلك العائق بالنسبة لشخص عادي إلا أنّ الرافعي لم يكن عاديا بل زاده إصرارًا في الكتابة وفي التربع على مناصب مهمة مثل القضاء قال شوقي ضيف: ((عين في أبريل سنة 1899 كاتبًا بمحكمة طنطا الشرعية، ونقل منها إلى محكمة أبتاي البارود ثم محكمة طنطا الشرعية، فالأهلية، وظل في هذه إلى وفاته سنة 1937))[4].

---

(1) مصطفى صادق الرافعي، **وحي القلم**، تح: د. درويش جويدي، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت – لبنان، ج1، (د ط)، ص5.

(2) شوقي ضيف، **الأدب العربي المعاصر في مصر**، ص242.

(3) المرجع نفسه، ص242.

(4) المرجع نفسه، ص242.

2. آثاره: ومن مؤلفاته:[1]

- ديوان شعري في ثلاثة أجزاء (ج1 : 1902م – ج2: 1903م – ج3: 1912م).
- تاريخ آداب العرب في جزئين (ج1: 1911م – ج2: 1912م).
- حديث القمر 1912.
- المساكين 1917م.
- رسائل الأحزان 1924م.
- السحاب الأحمر 1924م.
- تحت راية القرآن 1926م.
- على السفود 1930م.
- وحي القلم في ثلاثة أجزاء.

(1) مصطفى صادق الرافعي، **وحي القلم**، تح: د. درويش جويدي، ص6.

قائمة المصادر

والمراجع

❖ القرآن الكريم (برواية حفص).

أولا: المصادر

1. الشيخ حسين المرصفي، **الوسيلة الأدبية إلى العلوم العربية**، مطلعة المدارس الملكية، القاهرة – مصر، ج2، ط1، 1279م.
2. عباس محمود العقاد، إبراهيم المازني، **الديوان (في الأدب والنقد)**، دار الشعب للطباعة والنشر، القاهرة – مصر، ط4، (د س).
3. قدامة بن جعفر، **نقد الشعر**، تح: محمد عبد المنعم خفاجي، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، (د ط)، (د س).
4. مصطفى صادق الرافعي، **تحت راية القرآن**، دار الكتب، بيروت – لبنان، ط1، 2003.
5. مصطفى صادق الرافعي، **وحي القلم**، راجعه: درويش الجويدي، المكتبة العصرية – صيدا، بيروت – لبنان، ج1، (د ط)، (د س).
6. ميخائيل نعيمة، **الغربال**، نوفل للطباعة والنشر، بيروت – لبنان، ط15، 1991م.

ثانيا: المراجع:

7. أحمد أمين، **النقد الأدبي**، مؤسسة هنداوي، القاهرة – مصر، (د ط)، (د س).
8. حسين الحاج حسن، **النقد الأدبي في آثار أعلامه**، المؤسسة الجامعية للدراسات، بيروت – لبنان، ط1، 1996م.
9. حنا الفاخوري، **الجامع في تاريخ الأدب العربي (الأدب الحديث)**، دار الجيل، بيروت – لبنان، ط1، 1986م.
10. سيد البحراوي، **البحث عن المنهج في النقد العربي الحديث**، دار الشرقيات للنشر والتوزيع، القاهرة – مصر، ط1، 1993م.
11. شوقي ضيف، **النقد**، دار المعارف، القاهرة – مصر، ط5، (د س).

12. شوقي ضيف، **الأدب العربي المعاصر في مصر**، دار المعارف، القاهرة – مصر، ط10، (د س).
13. عصام قحيحي، **أصول النقد العربي القديم**، مديرية المطبوعات الجامعية، حلب – سوريا، (د ط)، 1991م.
14. عباس محمود العقاد، **شعراء مصر وبيئاتهم في الجيل الماضي**، مطبعة حجازي، القاهرة – مصر، (د ط)، 1937م.
15. أبو القاسم محمد كرّو، **دراسات في الأدب والنقد**، دار المعارف ، سوسة – تونس، (د ط)، (د س).
16. محمد عبد المنعم خفاجي، **الآداب العربية في العصر العباسي الأول**، دار الجيل، بيروت – لبنان، ط1، 1992م.
17. محمد مندور، **النقد والنقاد المعاصرون**، دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، الفجالة، القاهرة – مصر، (د ط)، 1997م.
18. محمد زكي العشماوي، **أعلام الأدب العربي الحديث واتجاهاتهم الفنية**، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية – مصر، (د ط)، 2000م.
19. منيف موسى، **في الشعر والنقد**، دار الفكر اللبناني، بيروت – لبنان، ط1، 1985م.
20. نظمي عبد البديع، **في النقد الأدبي**، جامعة الأزهر، مصر، (د ط)، 1907م.

ثالثا: المعاجم والقواميس:

21. الفيروز آبادي، **القاموس المحيط**، مؤسسة الرسالة، بيروت – لبنان، ط8، 2005م.
22. ابن منظور، **لسان العرب**، دار صادر، بيروت – لبنان، (د ط)، (د س)، مج3، مادة (ن. ق. د).

رابعا: المجلات والدوريات:

23. مجلة التربية، الجامعة الأسمرية الإسلامية، العدد4، يونيو 2018م.

24.مجلة الدراسات الإنسانية والاجتماعية، جامعة وهران، العدد 2 – 3، جانفي 2013م.

24. مجلة إضاءات نقدية، دهدشت إيران، العدد2، حزيران 2011م.

25. مجلة الذاكرة، جامعة حسيبة بن بوعلي، الشلف، العدد1، يناير 2020م.

فهرس المحتويات

العنوان	الصفحة
البسملة.	
شكر وعرفان.	
إهداء.	
مقدمة.	**أ –ب**
الفصل الأول: مفهوم النقد ونشأته	**03 – 23**
أولا: مفهوم النقد.	**04**
1. لغة.	**04**
2. اصطلاحا.	**04**
ثانيا: نشأة النقد.	**05**
1. النقد في العصر الجاهلي.	**05**
2. النقد في صدر الإسلام.	**06**
3. النقد في العصر الأموي.	**08**
4. النقد في العصر العباسي.	**09**
ثالثا: النقد في العصر الحديث.	**11**
1. مدرسة المحافظين.	**11**
2. مدرسة المجددين.	**15**
رابعا: الرافعي مناهضا للتجديد	**21**
خامسا: تعريف النقد الرافعي.	**22**
الفصل الثاني: الأراء النقدية في كتاب " تحت راية القرآن "	**24 –**
أولا: عرض لكتاب "تحت راية القرآن".	**25**
1. وصف الكتاب.	**25**

2. منهج الكتاب.	**25**
3. سبب وأهمية تأليف الكتاب.	**27**
4. أسلوب الرافعي في الكتاب.	**29**
ثانيا: قضية القديم والجديد.	**30**
1. المذهبان القديم والجديد.	**31**
2. الميراث العربي.	**34**
3. طه حسين في ميزان الرافعي.	**37**
4. الرافعي في ميزان النقد.	**43**
الخاتمة.	**47 – 46**
ملحق.	**50 – 49**
قائمة المصادر والمراجع.	**54 – 52**
فهرس المحتويات.	**57 – 56**
الملخص.	

المــلخص:

المعركة بين القديم والجديد، معركة شهدت تصادم تيارين مختلفين في الأفكار والآراء والأسلوب، إذ نجد دعاة التجديد الذين يرغبون بإضفاء صفة الحداثة على الأدب العربي والأخذ بمبادئ الغرب، وهذا ما قاله دعاة المحافظة والأصالة الذين يدعون إلى الأخذ من التراث ومبادئ الآباء والأجداد، ونجد أبرزهم **"مصطفى صادق الرافعي"** في كتابه **"تحت راية القرآن"** الذي يعد إمتداد لهذا الصراع، ووسيلة للرد على أدعياء المذهب الجديد وبالأخص **"طه حسين"** حينما ألفّ كتابه **"في الشعر الجاهلي"**، وهذا الأخير بني على الشك في الشعر الجاهلي من حيث أصوله ونسبته لأهله، ومن هنا جاء موضوع دراستنا النقد في كتاب **"تحت راية القرآن"** في محاولة للكشف والإحاطة بما دار حول هذا الكتاب.

Résumé:

La bataille entre l'ancien et le nouveau est une bataille qui a vu la collision de deux contradictions différentes dans les idées, les opinions et le style, comme nous trouvons des partisans du renouveau qui souhaitent donner de la modernité à la littérature arabe et adopter les principes de l'Occident, et c'est ce que les partisans du conservatisme et de l'authenticité qui appellent à tirer de l'héritage et des principes des pères et des ancêtres, et nous trouvons les plus importants d'entre eux. **Mustafa Sadiqal-Rafi'i** dans son livre **Sousla bannière du Coran**, qui est une extension de cette lutte, et un moyen de répondre aux revendicateurs de la nouvelle doctrine, en particulier **Taha Hussein**, quand il a écrit son livre **«Sur la poésie préislamique»,** et ce dernier était fondé sur des soupçons Dans la poésie préislamique en ce qui concerne ses origines et l’attribuant à son peuple, le sujet de notre étude a été

critiqué dans le livre **«Sous labannière du Coran**» pour tenter de découvrir et de capturer ce qui se passait à propos de ce livre.